التعصب الفكري والمنهجي والحزبي آفة الجماعات الإسلامية

دراسة وصفية نقدية

أ.د. فؤاد عبده الحاج البعداني

أستاذ الفكر الإسلامي المشارك – جامعة إب

ملخص البحث

يتناول هذا البحث مسألة مهمة وظاهرة سلبية تتصل بالعمل الدعوي، قد لا يلتفت إليها كثيرون من العاملين في الساحة الدعوية، ألا وهي إشكالية التعصب الفكري والمنهجي والحزبي في الجماعات الإسلامية، والمعول عليها تنزيل قيم الإسلام على الواقع وتعبيد الناس على وفقها ومعالجة اختلالات المجتمع وآفاته وفق المنهجية الإسلامية، حيث يتتبع البحث ويرصد صورا من مظاهر ذلك التعصب الذي يراه آفة من آفات الجماعات الإسلامية، من تعصب مذهبي في جذوره التاريخية والممتدة جذورها إلى بنيان الجماعات الإسلامية، إلى الغلو بالمشايخ والقادة وإضفاء العصمة على آرائهم وأفكارهم واجتهاداتهم ومواقفهم، إلى التعصب الفكري والمنهجي والحزبي للجماعة وتقديس كسبها البشري والانغلاق على فكرها ومنهجها وقناعاتها ووسائلها وأساليبها الدعوية ورفض ما سواها، إلى التعصب الحزبي المقيت الذي يتربى أفراد وأتباع الجماعات على وفقه، وكذا التعصب للبنى الحركية والقوالب التنظيمية التي تقوم عليها الجماعات وتحويلها إلى أصل وغاية بذاتها، وما تفرع عن ذلك كله من تحزب وتعصب يسيء للجماعات الإسلامية ولا يخدمها. ويقدم البحث مكاشفة فكرية وتربوية لهذه الآفة من باب النقد والتقويم الفكري والمعالجة الإسلامية، في سبيل ترشيد مسار العمل الدعوي في الساحة الإسلامية المعاصرة.

أولاً : مقدمة البحث:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام وسلم تسليماً كثيرا ، وبعد :

١- موضوع البحث:

يعالج البحث مشكلة عصرية تعاني منها الساحة الدعوية المعاصرة ابتليت بها الجماعات الإسلامية المعاصرة وأفرادها الذين يعملون في ساحات الدعوة، حيث سيتناول صور التعصب المذهبي والحزبي للجماعات وشخصنة الحق وعصمة القادة ورفع البشر فوق منازلهم، مما يتنافى قطعاً مع المنهجية الإسلامية الوسطية المعتبرة التي لا تقبل بأي حال من الأحوال أي شكل من أشكال التعصب .

٢-أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

يتجاذبني في هذا البحث جملة من الأسباب و قدر من الأهمية التي ينبغي بيانها و مراعاتها في سياق المعالجة و التحليل وهي التي يكتسب البحث أهميته منها على النحو الآتي:

أ- أن الموضوع يتناول أحد أبرز مظاهر الأزمة الفكرية المعاصرة من خلال وقوفه على ظاهرة فكرية وتربوية خطيرة متفشية في أوساط الجماعات الإسلامية تكاد تفتك بها.

ب- أن آفة التعصب الفكري من أسوأ الآفات التي تفشت في العمل الدعوي و شاعت الأنشطة الحركية للجماعات الإسلامية على نحو يجعلها بحاجة ماسة إلى وقفات شرعية ومعالجات فكرية، تربوية، جادة.

ج - أن بعض الدعاة والعاملين في الساحة الدعوية من المحسوبين على الجماعات الإسلامية لا يدركون خطورة التعصب الفكري بل بعضهم لا يعترف بوجوده أو لا يكترث لحضوره .

د- أن هذا الموضوع لا يحظى باهتمام المحسوبين على الجماعات الإسلامية، ولا تجري عليه المكاشفات و الدراسات النقدية من الداخل باستثناء إشارات سريعة لبعض المفكرين الذين فارقوا العمل التنظيمي مع الجماعات.

٣-أهداف البحث:

تتمثل أهداف البحث في الجوانب الآتية :

أ- بيان خطر العصبية الفكرية والحزبية المقيتة وتقديس الشخصيات في الأمة على عقيدتها ودينها وقيمها وعلى الدعوة الإسلامية.

ب- لفت أنظار الجماعات الإسلامية إلى هذه العلة الفكرية و ذاك الداء المنهجي الذي تعاني منه، وأنها إن لم تسارع إلى استئصاله من بين صفوفها فإنها أعجز عن معالجة علل الأمة وآفات المجتمعات وتنزيل المشروع الإسلامي الحضاري إلى الواقع.

ج- محاربة الوثنية العصرية والعصمة البشرية التي تدعيها لنفسها بعض الشخصيات والجماعات والأحزاب ولو بصورة غير مباشرة.

د- بيان أن الحق ليس مرتبطاً بأحد من الخلق بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولا يمكن أن يكون حكراً على أي جماعة في منهجها وطريقتها إلا ما كان وفق الكتاب والسنة.

٤- مشكلة البحث:

تتحدد مشكلة البحث في أن الجماعات الإسلامية المعاصرة والمعول عليها الدعوة إلى الله وفق منهجية سوية تتبنى من خلالها توجيه المجتمع وإرشاده نحو التعبد لله واقتفاء الأثر القويم في الصراط المستقيم منهجاً وسلوكاً، موجهاتها الشرعية الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح وانتشال الأمة من عللها وآفاتها، إذ أصيبت ببعض العلل الفادحة والآفات الماحقة التي أعاقت نجاحها في العمل الجماعي و الترويج للمشروع الإسلامي الحضاري. وصورة هذه العلة أن تحول العمل الدعوي في الجماعات الإسلامية إلى ضرب من التعصب و صناعة الأزمات الفكرية و التربوية في مجالات و أزمنة شتى في مسيرة عملها، و كان التعصب الحزبي والمنهجي هما من أبرز هذه العلل والآفات التي ابتليت بها الجماعات الإسلامية.

٥-أسئلة البحث :

من التساؤلات التي يقتضي السياق الإجابة عنها في هذا البحث ما يتراءى في الأسئلة الآتية :

أ- هل تدرك الجماعات الإسلامية أنها تعيش في وهم العصمة وتسهم في تأجيج الأزمة الفكرية المعاصرة وتغرد خارج سرب واقعها؟

ب- هل تعي الجماعات الإسلامية تماماً أن العرقلة الحقيقية للأمة ولمشروعها الإسلامي قد أورثها سوء التعامل في النشاط الدعوي و انحراف المنهجية في التفكير الاستراتيجي لهذا المشروع بين صفوفها ؟

ج- هل يمكن اعتبار التعصب الفكري آفة عند الجماعات الإسلامية أو اعتباره امتداداً طبيعياً لآفة التعصب المذهبي وفق مسارها التاريخي؟

٦-حدود البحث:

تقتصر حدود البحث الموضوعية على الجماعات والأحزاب الإسلامية السنية الدعوية التي اتخذت من الوسطية والاعتدال منهجاً في بلورة المشروع الإسلامي و إشاعته عبر وسائط متنوعة من الجهود الدعوية في خدمة الإسلام والأمة المسلمة. وحدود البحث الزمانية هي الوقت المعاصر والمقصود به العقود الأخيرة التي ظهرت فيه الجماعات الإسلامية، والذي هو دون القرن في الحساب العقدي للأزمنة التاريخية في الحياة المعاصرة. أما حدود البحث المكانية فهي منوطة بمجمل الساحة الإسلامية التي انطلقت فيها الجماعات الإسلامية.

٧ - منهج البحث:

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي، وهو يعنى بتقرير القوانين أو العلاقات الثابتة التي تتيح للإنسان فهم الظواهر أو الأشياء الخارجية فهماً علمياً صحيحاً، كما لم يغب عنا الاستعانة ببعض أدبيات المنهج الوصفي، وهو منهج يهتم بإعطاء أوصاف دقيقة للظواهر الحادثة أمامه حتى يتسنى له حل المشكلات.(١)

٨- تقسيمات البحث :

وبمقتضى المنهج وطبيعة الظاهرة الفكرية التي ينهض البحث لمعالجتها؛ فإن البحث يتوزع في طبيعته المنهجية بين مبحثين، يسبقهما تمهيد و تلحقهما خاتمة على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعصب المذهبي .

المبحث الثاني: العصبية الحزبية للجماعة ولمشايخها وقادتها. ويتمثل في الصور الآتية :

أ- الغلو في الاعتزاز بقادة الجماعة و مشائخها وتقديس كسبهم البشري، وإضفاء العصمة على اجتهاداتهم ، واعتبارهم معيار الخطأ والصواب والحق والباطل.

ب- العصبية الحزبية للجماعة والانتصار لها بالحق والباطل وإضفاء العصمة عليها.

ج- التعصب للمفاهيم والمبادئ الحركية للجماعة وتحديد الموقف من الآخرين بناء على مواقفهم منها.

المبحث الثالث: التعصب لفكر الجماعة الدعوي والاستئثار بمنهجها في الإصلاح والتغيير والالتفاف حوله. ويتمثل ذلك من خلال الصور الآتية:

١- التعصب للرأي الفكري للجماعة وتقديس كسبها البشري .

٢- التعصب لمنهج الإصلاح والتغيير عند الجماعة و فرضه على الآخرين .

٣- الانغلاق على القناعات المنهجية للجماعة والضيق بالرأي الآخر ورفض وجهات النظر المغايرة.

٤- الجمود على الأفكار التربوية والوسائل الدعوية والقوالب التنظيمية للجماعة ورفض أي تغيير فيها.

المبحث الأول : التعصب المذهبي

يعتبر التعصب المذهبي آفة فكرية وفقهية ترجع جذورها إلى ما بعد عصر أئمة المذاهب الكبار، الذين حاربوا التقليد والتعصب المذهبي وكان منهجهم جميعاً هو تحري الدليل واتباعه وتقديمه على أي قول من أقوال البشر، مهما كان علو قدره وعلمه وشأنه . و لم يستمر هذا الحال و لم يدم إذ غابت الموضوعية والإنصاف ؛ فجاء الأتباع من بعدهم فأنشأوا التمذهب وأظهروا التعصب للأئمة والمذاهب، ونشب الصراع المذهبي وتطور عبر المراحل التاريخية و لاسيما مراحل الضعف والتقليد، ومازال التعصب المذهبي سارياً في الجسد الفكري والفقهي لهذه الأمة حتى يومنا هذا في القضايا والمسائل الفقهية الاجتهادية وفي مسائل الفروع والاختلاف.

و لعل من أهم مظاهر التعصب في القضايا الاجتهادية هو التعصب المذهبي، باعتبار أن المتعصب غالباً ما يكون له توجه مذهبي معين، فهو يتعصب له وإن أعلن أنه يرفض التقليد أو يتبع الغير، و حين يصير التعصب سمة له، فهو لا يرى إلا قناعاته والرأي الذي يعتقده ويراه سواء أكان من عنده هو أم من عند شيخه أو مذهبه ؛ لذلك "فإن الإنسان إذا اعتقد أو قال قولاً، فإمَّا أن يكون فيه مستفيداً من غيره أو مستبداً محدثاً مبتدعاً برأيه وربما يكون المستفيد من غيره مقلدا قد وجد مذهبا اتفاقيا بأن كان أبواه أو معلمه على اعتقاد باطل

فيتقلده منه دون أن يتفكر في حقه وباطله وصواب القول فيه وخطئه، فحينئذ لا يكون مستفيدا لأنه ما حصل على فائدة وعلم ولا اتبع الأستاذ على بصيرة ويقين، قال الله تعالى:" إلا من شهد بالحق وهم يعلمون" شرط عظيم فليعتبر".[٢]

فالمتعصب يقع في تقليد من يتعصب له فينتصر لرأيه دون حجة، ذلك أن التعصب " هو شيمة من شيم الضعف وخلل من خلل الجهل، يبتلى بها الإنسان فتعمي بصره وتغشى على عقله فلا يرى حسنا إلا ما حسن في رأيه ولا صوابا إلا ما ذهب إليه أو من يتعصب له".[٣]

وليس هذا فحسب بل إنه يجعل رأي واجتهاد شيخه أو رأي مذهبه حجة ملزمة للجميع، وصورته عند العلماء كما يذهب إليه الشوكاني: "بأن تجعل ما يصدر عن شخص ما من الرأي ويروى له من الاجتهاد حجة عليك وعلى سائر العباد".[٤]

وما فتئت أمتنا اليوم تعاني من التعصب المذهبي، إذ برزت ملامحه في صور شتى من المخالفات الشائعة بين المقلدين والمتطرفين لهذا المذهب أو ذاك ، حيث "يشاع هذا الآن بين بعض أتباع المذاهب المتنطعين الذين لا يعرفون المذاهب فهو يرى الرأي تبعا لفكر اجتهادي لأصحاب مذهبه ثم يلغي جميع المذاهب الأخرى ويرى أنها حرام، وهذا باطل وقد شاع بين الجهال والمتنطعين وأفسد الأمة الإسلامية"[٥] وجر عليها الويلات وأدى إلى الفرقة والتناحر المذهبي فكل متعصب يلغي المذاهب الاجتهادية المغايرة لمذهبه ويهمشها ولا يعترف إلا بما صدر عن اجتهاده الشخصي أو عن اجتهاد شيخه أو ما قاله أئمة مذهبه.

و بهذا المقتضى ؛ فإن المتعصب في هذه المسائل لا يقف إلا عند وجهة نظر واحدة وهي وجهة نظر الشيخ أو المذهب دون أن يلتفت إلى غيرها ، معتقدا صحة وصواب ما ذهب إليه . و هذا ليس بمنهج علمي، إذ ليس مؤشراً على سعة العلم والفهم بل على العكس من ذلك، وليس العالم من وثق برأيه ومعتقدات آبائه وكانت له المقدرة التامة على المحاورة والمداورة وإنما العالم من فصل الواقع عن ذاته وعاطفته وفكر تفكيرا حرا مطلقا دون تعصب لرأي أو الاستئثار برأي على رأي، بل يقف من كل قول موقف الشك والتساؤل وإن كثر به القائلون وآمن به الأقدمون، حيث وإن القرآن الكريم قد عاب على المقلدين و المتعصبين لمن يقلدون دون حجج قاطعة ودراية واعية قال تعالى : "**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** " (البقرة : ١٧٠).

و بهذا المعطى ؛ فإن المتعصب يحمله تعصبه على الاعتقاد أن رأي واجتهاد شيخه ومذهبه هو الحق وأن ما يخالفه هو الباطل دون التأمل في الأدلة والشواهد والحجج و نسبية الآراء من حيث الصواب و الخطأ . كما أنه " ربما غالى بعض الأتباع في عالمهم حتى يروا أن قوله دليل وإن لم يستدل وأن اعتقاده حجة وإن لم

يحتج". (٦) فيصبح قول الشيخ هو الدين ورأي غيره هو الابتداع والضلال، ورأي شيخه أو من يتبعه مقبول قبل دراسته ومعرفة مسوغاته إنما يكفي أن يثبت عنه وكفى بهذا دليلا.

وهذا الغلو يقود المتعصب إلى أن يكون ارتباطه بالأشخاص والمذاهب لا بالأفكار، فربما يرفض الرأي والاجتهاد إذا جاء من شخص غير مقبول عنده ولو جاء الرأي نفسه من الشخص المقبول عنده لقبله وسلم به. ومما جاء في هذا الأمر ما ذكره خالص جلبي: "من جملة الأمثلة الجديرة بالتسجيل في موضوع الفكرة المجردة والمجسدة هي اللعبة التي أجراها بعض الأذكياء مع بعض المتحمسين لفكر سيد قطب والمتعصبين ضد فكر مالك بن نبي، حيث قام بذكر فكرة هي لمالك بن نبي ونسبها لسيد فاستحسنها الشباب ولما فعل العكس أنكروها فلما أعاد كل فكره إلى محلها شعروا بشيء من الحرج والأسف". (٧) و إذا ما قيل للمتعصب أن رأي شيخه أو من يتبعه خاطئ أو ضعيف دافع عنه وبرر الخطأ، حيث تصبح المودة والمذهبية وغيرها من العلاقات كالقرابة مبررا للتعصب حتى للرأي الخاطئ، وفي هذا يقول الشوكاني مبينا لبعض أسباب التعصب: "أن يكون سلف المشتغل بالعلم قد قال بقول ومال إلى رأي فيأتي هذا الذي جاء بعده فيحمله حب القرابة على الذهاب إلى ذلك المذهب والقول بذلك القول وإن كان يعلم أنه خطأ وأقل الأحوال إذا لم يذهب إليه أن يقول فيه أنه صحيح ويطلب له الحجج ويبحث عن ما يقويه وإن كان بمكان من الضعف ومحل من السقوط". (٨)

ومن مظاهر التعصب المذهبي عند المتعصب في القضايا الاجتهادية، أنه يتعصب لمذهبه حتى في انتقاء الأدلة والشواهد وفي أسلوب عرضها تعسفا لإثباتها إذ أن "من الاعتساف أن يأخذ طالب الحق أدلة المسائل من مجاميع الفقه التي يعتزي مؤلفها إلى مذهب من المذاهب، فإن من كان كذلك يبالغ في إيراد أدلة مذهبه ويطيل ذيل الكلام عليها ويصرح تارة بأنها أدلة وتارة بأنها حجج وتارة بأنها صحيحة ثم يطفف لخصمه المخالف فيورد أدلته بصيغة التمريض ويعنونها بلفظ الشبه وما يؤدي هذا المعنى"(٩) أو يمارس أسلوب المبالغة والمغالطة عند عرض قناعته برأي ما أورده له. فالمتعصب عند حديثه نلمس منه "المبالغة في التهويل أو التهوين بأن يقال –كل الدنيا تعلم بذلك – لتأييد رأي أو– لا أحد يصدق ذلك– للانتقاص من قيمة رأي". (١٠)

بل ونرى المتعصب "يرد خلاف مذهبه بما عليه من شبهة دليل تفصيلي أو إجمالي ويتعصب لما هو عليه غير ملتفت إلى غيره وهو عين اتباع الهوى فهو المذموم حقا"(١١) وذلك أنه ربما يكون خلاف مذهبه هو الرأي الصائب، ولكن التعصب المذهبي يعمي البصيرة ويشل الفكر ويحجر على العقل لكي يبقى في إطار مذهبه ومن يقلد لئلا يستفيد مما عند الآخرين، فالرغبة بالمخالفة أقوى من الرغبة بالموافقة فيما كان حقا ثابتا أو اجتهادا نافعا أو فهما نافذا، لذا فهو يرفض كل ما لم يقل به مذهبه، "فقد يترك المقلد شيئا جاءت به السنة لأن مذهبه لم يقل به". (١٢)

ويتطور التعصب المذهبي ليصبح عنادا عند الاختلاف الفقهي ومن ثم افتراقا عن الآخرين، ينتج عنه تفرق وعداء ونزع الموالاة على أساس الاختلاف في الفهم وافتراق في المذهب وتغاير في الرؤية تعصبا للمذهب، حيث "تمكن حب المذهب من قلبه حتى عادى عليه ووالى من أجله"(١٣) وجعل من وافق مذهبه ورأيه من أصحاب الولاء ومن خالف مذهبه ورأيه من أصحاب العداء، "يوالي فيما ارتكب ويعادي بمجرد التقليد".(١٤)

فهذه هي نفسية المتعصب المشحونة بالغلو المذموم و الانغلاق على رأي دون الانفتاح على الآخري بل إن التعصب يجعله ينظر لممارسته الخاطئة وأفكاره العليلة وكأنها انتصار للدين وإحقاق للحق، وهذه علة من علل التدين، و على هذا الأساس؛ فإن " التعصب المذهبي مرض نفسي وأنانية خاصة أكثر مما هو حماس ديني ومصلحة عامة".(١٥)

فهذه هي حقيقة التعصب المذهبي الذي لا يعبر إلا عن نفسية معتلة وعقلية مختلة ونظرة عداء وإقصاء للآخرين، بعيدا عن أخلاق العلماء وسلوكيات الإسلام، إذ "أن أصل التعصب هو نزع وتألب وتجمع ومعاداة للآخرين دونما تروٍ أو وازعٍ من عقل، إذ ليس من المنطق أن ننسب إلى المتعصب وفقا لهذه المعاني فضيلة من الفضائل، لأن ذلك يعني حتماً إلغاء دور العقل أو إضفاء غشاوة عليه تفقده منطقه وتأثيره نظير ما تفعله الخمر من تأثير على أعصاب شاربها".(١٦)

وقد يكون المتعصب ممن يرفضون الانتماء المذهبي بدعوى نبذ التقليد وكذلك ربما لا يؤمن بالانتماء لجماعة إسلامية منظمة رغبة بالاستقلال الفكري وهروبا من التعصب، ولكنه يتورط في التعصب من طريق آخر من خلال شيخه أو أفكاره وقناعاته، "فالذين هربوا من العمل الجماعي المنظم فرقا من التعصب المذموم وقع بعضهم فيما فر منه وحل محل التعصب للجماعة التعصب للشيخ أو للفكرة التي يحملها أو لمجموعة الاجتهادات التي توصل إليها واعتبر مخالفتها تحزبا مذموما".(١٧) والتعصب لشيخ معين أو عالم محدد والغلو به انحراف فكري وجنوح خلقي وطريق للضلال، إذ يصبح الشيخ في نظر مقلده وكأنه معصوم، "لذلك ترى المقلد المتعصب لا يرجع عن قول من قلده وتعصب له ولو تبين له خطأ من قلده، بل لا يخالف قوله ولو جاء النص والدليل بخلافه ويبرر ذلك بشتى أنواع المبررات المسوغات".(١٨)

وهذا هو دأب أهل التقليد والتعصب، إذ يصبح الحق هو ما قاله الشيخ أو المذهب وهو القول الذي يجب أن يتبع دون سواه من الآراء والاجتهادات في أية مسألة اجتهادية خلافية، "وهذا يبتلى به كثير من المنتسبين إلى طائفة معينة في العلم أو الدين من المتفقهة أو المتصوفة أو غيرهم أو إلى رئيس مبجل عندهم في الدين، غير النبي صلى الله عليه وسلم، فإنهم لا يقبلون من الدين رأيا ورواية إلا ما جاءت به طائفتهم، ثم إنهم لا يعلمون ما توجبه طائفتهم مع إن دين الإسلام يوجب اتباع الحق مطلقا رواية ورأيا من غير تعيين شخص أو طائفة غير الرسول صلى الله عليه وسلم".(١٩) و من ثمَّ، فإن المتعصب يتخذ من تعظيم المشائخ و تبجيلهم مسوغاً لغض

الطرف عن جوانب قصورهم، أو أخطائهم، وإذا ثبت الخطأ لشيخ أو لأحد من شخصيات مذهبه صاغ المبررات وقدم الاعتذارات وهذا ما لا يصنعه مع غير مذهبه وشيخه، و" قد يكون مستند المتعصب لطائفة اعتقاده أنها على الحق وهذا الاعتقاد ليس باعتقاد سائغ شرعا، إذ مناط الحق الكتاب والسنة وليست الفرقة المعينة ومن جعل الحق مع طائفته مطلقا فهو من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا".(٢٠)

فالتقليد والتعصب المذهبي إخلال بالعقول وتعطيل للقدرات، حيث يصبح المقلد تابعا مستبدا متعصبا دون نظر عقلي ، على نحو يجعل من " ثمرة التقليد إهمال النص الشرعي وتعطيل العقل البشري، حيث إن هذا المقلد لا ينظر إلى المسائل المختلفة إلا بمنظار مقلده فيدور في فلكه قبولا وردا، فلا يقبل قول غيره ولا يسمع بعد قوله قولا من غير حجة ولا برهان، فالحق ما قاله شيخه وإن خالف الدليل ، والباطل ما خالف قول شيخه وإن خالف الدليل ، والباطل ما خالف قول شيخه ولو دل عليه الدليل، ولسان حال هذا المقلد يدل على أن إمامه هذا قد اقتبس شعلة من نور العصمة".(٢١)

ولقد نظر القرآن لهذا التعصب والتقليد والاتباع وكأنه عبادة من دون الله وعدّ من يتّبع ويقلد بالحق والباطل دون أن يكون اتباع حق كأنما يرفع من يقلده على درجة الربوبية، فكان التحذير من وقوع المسلمين في هذا الاتباع والتعصب بالتنديد بغير المسلمين بقوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾(التوبة: ٣١).

المبحث الثاني : العصبية الحزبية للجماعة ولمشايخها وقادتها.

إن من أبرز مظاهر التعصب الفكري التي تعاني منها ساحة العمل الإسلامي وتلعب دورا كبيرا في تعميق الأزمة الفكرية التي يمر بها واقعنا الإسلامي المعاصر، طغيان روح العصبية الحزبية على التيارات والجماعات الإسلامية العاملة في الحقل الدعوي.

وتبرز هذه العصبية الحزبية من خلال صور عدة منها:

١-الغلو في الاعتزاز بمشايخ الجماعة وقادتها وتقديس كسبهم البشري، وإضفاء العصمة على اجتهاداتهم وعدهم معيار الخطأ والصواب والحق والباطل.

حيث يبرز التعصب عند أفراد هذه التيارات والجماعات بتلك النظرة المغالية للقادة والمشايخ باعتبارهم قد وصلوا إلى درجة رفيعة من العلم والفقه والدراية و تجاوزوا بها مكانة الآخرين، وأن لهم من الصفات و السمات ما تجعلهم روادا للحق ورموزا للتجديد ومنارات للهدى وأعلام للدعوة وقادة للأمة وأمثالا عليا يقتدى بها وبنهجها، وأنهم قد وصلوا إلى مستوى عال اقتربوا فيه من مقام العصمة من الخطأ فأصبح لا مجال من وقوعهم في الزلل أو مجانبتهم الصواب أو مخالفتهم للدين، وأضفوا عليهم الكثير من الأوصاف والألقاب التي تظهرهم وكأنهم شيء آخر غير البشر.

وهذا الغلو بالقادة والمشايخ هو دأب أهل التعصب والغلو قديما وحديثا، وقد أشار الإمام الشاطبي رحمه الله إلى هؤلاء بقوله "رأى قومٌ التغالي في تعظيم شيوخهم حتى ألحقوهم بما لا يستحقونه".[٢٢] ومتعصبو اليوم يمارسون الغلو في تبجيل مشايخهم وقادتهم حيث وصل هذا الغلو إلى تقديس جميع آرائهم واجتهاداتهم الفكرية والتعصب لفهومهم البشرية حتى يعدونها الدين الحق وهي الصواب المطلق، وأن كل ما توصلوا إليه من رأي واجتهاد لا تقل مشروعيته وأدلته عن نصوص الوحي القاطعة، وأنهم قد أصابوا الصواب الذي لا صواب سواه والحق الذي لا يرقى إليه أي شك.

إن أهل الغلو والتعصب ظنوا " أن إمامهم الذي قلدوه ليس في علماء الأمة من يساويه أو يدانيه ثم قبلت عقولهم هذا الاعتقاد الباطل وزادته الأيام والليالي حتى بلغ إلى حد يتسبب عنه أن جميع أقواله صحيحة جارية على وفق الشريعة ليس فيها خطأ ولا ضعف، وأنه أعلم الناس بالأدلة الواردة في الكتاب والسنة على وجه لا يفوت عليه منها شيء ولا تخفى منها خافية، فإذا سمعوا دليلا في كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: لو كان هذا راجحا على ما ذهب إليه إمامنا لذهب إليه ولم يتركه ولكنه تركه لما هو أرجح منه عنده فلا يرفعون لذلك رأسا ولا يرون بمخالفته بأسا".[٢٣]

وهذا التقديس لآراء وأفهام وأفكار البشر إنما أصيبت به بعض التيارات الإسلامية المعاصرة بسبب تأثرها ببعض الفرق والطوائف التي عرف عنها هذا التقديس، ومع ما يوجه لها من انتقاد واسع وذم كبير إلا أن هذه الآفة لم تسلم منها هذه الجماعات المعاصرة. فقد عرف عن فرق الصوفية تقديس أقوال المشايخ واعتقادهم النزاهة والعصمة فيهم، أما الشيعة وخاصة الرافضة الإمامية منهم فهم أكثر الطوائف تقديسا للأئمة وادعاءً واضحاً لعصمتهم، بل إنهم يقدمون آراءهم على كل شيء حتى لو خالفت الكتاب والسنة.

وقد عبَّر أحد الباحثين عن هذا التقديس لآراء وأفكار المشايخ والقادة بالوساطة الفكرية قائلاً : " فأما الوساطة الفكرية فقد تجلت في أخذ بعض أبناء الصحوة الإسلامية لأفكار بعض مفكريها بشيء من التقديس اللاشعوري في الغالب، فتكون الأحكام التي أطلقها بعض الرواد وهي أحكام اجتهادية بالطبع صالحة لكل زمان ومكان في اعتقاد بعض المنتمين للحركة وربما كانت تلك الأحكام خاطئة في أصلها وربما كانت صحيحة في حينها وظروفها التي صدرت فيها غير أنها تصير بالنسبة لمكان آخر أو زمان آخر مؤدية إلى كارثة إن هي أخذت بها".[٢٤]

وهكذا تبرز "المذهبية الضيقة التي تجعل أفعال الشيخ أو الزعيم وأقواله هي المقياس النهائي للحق والباطل فيشتد التعصب والمغالاة والرفض لكل نقد يوجه إلى أعمال الشيخ وكأن الخير كله عنده وما عند غيره باطل".[٢٥] وأمام كل رأي وعند كل قضية وفي مواجهة أي موقف وإزاء أي فكرة تبرز أراء وأقوال وأفعال القائد والشيخ ليقاس بها ذلك كله، وعند رفض أي شيء منها تصاغ المبررات وتعتسف الشواهد التي تؤيد ذلك الرفض

لتثبت بالوقت نفسه أن لا مجال لمعارضة ما قاله الإمام وأفتى به الشيخ ومارسه القائد كما أنه لا مجال لنقدها أو تبديلها وتغييرها، "ومن ثم تكون العصمة الكاذبة التي تخلع على بعض الأشخاص والمبررات المضحكة التي توضع لتصرفاتهم وأخطائهم".(٢٦) وهذا كله من التعصب لأقوال القادة والمشايخ وتصلبا حولها ودفاعا عنها وإزاحة لما خالفها وحجرا على ما سواها واستبدادا بالرأي والموقف الذي جاء به هؤلاء القادة و المشايخ.

ومن هنا "تنتقل القدسية من قيم الكتاب والسنة إلى آراء البشر وتصبح الفهوم البشرية المتفاوتة هي مصادر الدين والتدين وبذلك يتفرق أمر الدين ليصبح أديانا وشيعا وأحزابا، كل حزب بما لديهم فرحون".(٢٧) ويغيب المنهج وتغيب الفكرة ويهمش الإسلام ذاته ليتجسد كل شيء بالزعيم المؤسس والقائد الملهم وهذا انحراف منهجي وخطر فكري، حيث إن "خطر التجسيد قد وضعه القرآن صراحة في الوعي الإسلامي بقول الله ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾(آل عمران: ١٤٤). وهذا التحذير ليس موجها هنا لتفادي خطأ أو انحراف مستحيل من الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنه من أجل الإشارة إلى خطر تجسيد الأفكار بحد ذاته".(٢٨) فكيف يكون الأمر عندما تتجسد الأفكار بشخص عادي ثم يرجع عما هو عليه أو يموت فهل تنتهي الأفكار الأساسية وتتوقف مهمة الدعوة !؟ إن هذا قد يحدث حينما تقدس الأفكار المتجسدة في شخصيات، وقد اندثرت تيارات وجماعات صغيرة تجسدت أفكارها في قادتها ثم انتهى كل شيء بموت القادة. لذا ينبغي أن تكون مكانة القائد أو الشيخ هي مكانة القائد والمربي والموجه لا أن يكون هو كل شيء الفكرة والمنهج والرؤية والموقف. ذلك أن تقديس الأفكار و تعظيم أصحابها بصورة مفرطة يورث الغلو في التبجيل ، إذ " تتحول رموز العمل إلى أوثان تفسد العملية التربوية والدعوية فبدلاً من أن تكون القدوة نموذجاً مربياً يصبح وثناً معطلاً ".(٢٩) والقرآن الكريم قد حدد القدوة والأسوة الوحيدة التي يجب أن يقتدى بها ويتأسى بها في كل شيء وفي كل رأي أو موقف إنما هو الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾(الأحزاب: ٢١) .

إن الغلو بالقادة والمشايخ وتقديس كسبهم الفكري البشري عند أفراد هذه التيارات يجعل هؤلاء يرفضون الاعتراف بأي خطأ فكري في أي رأي عند قادتهم ومشايخهم وزعمائهم، ومن ثم ينبرون للدفاع عن تلك الآراء والأفكار بكل ما أوتوا من قوة وتمكنوا من وسيلة، يفلسفون الآراء ويبررون الأخطاء ويحورون المواقف ولا يعترفون بخطأ، "ولذلك ترى الأنصار والمريدين والتلاميذ يستميتون في الدفاع عن الشيخ أو الزعيم أو الرئيس أكثر من الدفاع عن الحق نفسه ويبررون خطأه إلى درجة قد تحمله إلى مواقع العصمة وتخرجه عن طبيعة البشرية، وعندها تحيط به أخطاؤه وينقلب الأتباع إلى إقطاعات بشرية تسيطر عليها وتحركها روح القطيع".(٣٠)

إن منح الأفكار القداسة والأشخاص العصمة أمر يرفضه الإسلام حيث إنه يؤكد على أن القداسة أو العصمة هي من الصفات التي لا يجوز منحها لأي بشر كونها صفات اختص الله سبحانه وتعالى بها نفسه وحده دون خلقه، ذلك أن كل إنسان معرض للخطأ، ولا عصمة لرأي ولا قداسة لفهم، كون " الإسلام لا يعطي العصمة لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكننا معشر المسلمين في الواقع نعطي هذه العصمة للرجال، ويصعب علينا أن نرى الشخصية الكبيرة التي نجلها تخطئ وتصيب ، كما يصعب علينا أن نقول هذا الرأي من قوله خطأ وهذا صواب، بل إننا عمليا لا يمكن أن نتعامل مع الشخصيات الإسلامية الكبيرة إلا على أساس التسليم لهم بكل شيء أو رفض كل شيء".[٣١]

وهذه كلها مفاهيم تعصبية طغت على ساحتنا الإسلامية وشوهت فكرنا الإسلامي ، كما أنها مخالفة لمنهج السلف الذي لم يمنح أحدا من البشر قداسة في الرأي أو عصمة في العمل، وتداول علماء وأئمة السلف ما روي عن الإمام مالك رحمه الله قوله " إنما أنا بشر أصيب وأخطئ فأعرضوا قولي على الكتاب والسنة أو كلاماً هذا معناه. والشافعي كان يقول: إذا صح الحديث فأضربوا بقولي الحائط، وإذا رأيت الحجة الموضوعة على طريق فهي قولي".[٣٢]

ولا يمكن لبشر أن تتحقق النسبة المطلقة لصحة الآراء والأفكار التي ينطق بها، ومن هنا يتبين لنا "أنه لا يجوز أن يعتمد أحد كائنا من كان معيارا للحق أو أن يظن أنه أعلى من أن يناله أحد بالنقود أو يجد فيه مأخذا".[٣٣] بل هو معرض للخطأ والقصور لأن الحق والصواب المستلهم من الإسلام هو مقياس الآراء والأفكار والأشخاص ولا مقياس لذلك غير الإسلام، كما "أن المقياس الإلهي المجرد الذي تجسم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته هو المقياس الذي يوزن به الأشخاص ويأخذ كل إنسان حقه ومكانه من هذا المقياس".[٣٤]

ولكن العصبية الحزبية تؤدي بهؤلاء إلى افتقاد النظرة الموضوعية المعقولة إلى الآراء والأفكار والأشخاص والمواقف والممارسات، إذ تتقدم النظرة للأشخاص لتوجه النظرة لباقي الأشياء من خلال موقع الأشخاص في النفوس. فعند التعصب للأشخاص تصبح جميع آرائهم وأقوالهم ومواقفهم مصدرا للحق وطريقا إليه ليعرف الحق من خلالهم فتقبل آرائهم وأفكارهم وترد غيرها.

ومن هنا تتحول هذه الرموز وتلك النماذج إلى أوثان أو أصنام من دون الله، تضفى عليها الصفات والخصائص الخارقة، وتدعى لها العصمة عن الخطأ واحتكار المثل الأعلى، فبدلاً أن تكون ممثلة ومجسدة للمثل الأعلى تصبح هي المثل الأعلى والمقياس لكل شيء، يوزن بها الحق ولا توزن به، وهنا تبدأ مرحلة غياب المثل الأعلى بالمفهوم الإسلامي وبروز الصنم الذي يحتكر كل الحقيقة في ذاته.

وصورة أخرى من صور العصبية الحزبية عند بعض التيارات الإسلامية المعاصرة تتمثل في:

٢- تحكم العصبية الحزبية للجماعة والانتصار لها بالحق والباطل وإضفاء العصمة عليها.

إن روح التعصب سمة فطرية جبل عليها البشر والحياة مليئة بمظاهر العصبية المتنوعة، فهنالك العصبية القومية، والعصبية الطائفية، والعصبية للعادات والتقاليد، والعصبية الأسرية، وهنالك التعصب للأشخاص والأسماء والمسميات، وهنالك التعصب للآراء والأفكار والمناهج، ويطغى على حياتنا وواقعنا المعاصر التعصب بشتى صوره، وكل ينافح ويدافع عما يتعصب له ويسعى لإضفاء المشروعية عليه وإبطال ما سواه. والتعصب للآراء والأفكار والمدارس الاجتهادية أكثر ضراوة وأشد خطرا من التعصب القومي والطائفي والعشائري، فالمتعصب هنا هو متعصب في تكوينه العقلي وتركيبه الفكري.

وإذا كان التعصب مرضاً اجتماعياً خطيراً حل بأمتنا، فقد انبرت الجماعات الإسلامية لتعلن للناس جميعا أن عليهم أن يتحرروا من أي عصبية دنيوية ويخلصوا ولاءهم المطلق للإسلام الذي جاء محارباً للعصبية و نابذاً للتطرف و الغلو باعتبار ما يترتب عليهما التشرذم و التفرق في المجتمع المسلم . ولكن للأسف الشديد فإن الكثير من هذه الجماعات قد غفلت عن طبيعة نشأتها وعن حقيقة غايتها ومهمتها، وارتكست في عصبية بغيضة قدست من خلالها أفكار، ومنحت الكثير من الامتيازات بغير حق للقادة والزعماء والمشايخ، وانتصرت للأشكال والمظاهر أكثر من انتصارها للحقائق والمبادئ.

وقد تأسست هذه التيارات والجماعات الإسلامية على أفكار وآراء اجتهادية لشخصيات علمية وأعلام فكرية ورموز دعوية وزعامات قيادية، أفضت إلى كيانات جماعية وبنى حركية فصارت لها مدارس فكرية وتوجهات سياسية ومناهج دعوية، وأصبح لهذه الجماعات أتباع وأنصار كثر. وهذه الجماعات اصطبغت في كثير من أفكارها ومناهجها باجتهادات وآراء مؤسسيها وقادتها، وانعكس انتماء الأفراد لهذه الجماعات التي قامت على رؤى وأفكار اجتهادية بشرية على موقف هؤلاء الأفراد من جماعاتهم، إذ طغى عليهم تقديس تلك المنظومة الفكرية التي قامت عليها الجماعة والتعصب لها والتحزب لها.

ومن هذا المنطلق فقد " تكون المشكلة في تحويل القضايا الاجتهادية والمدارس الفكرية المنهجية إلى حزبيات سياسية، لذلك لابد أن يكون واضحا أن التحزب ليس من طبيعة التفكير وأن الطلاقة والموضوعية في النظر والحرية المطلوبة للتفكير لا تتوافر بشكل سليم في نطاق التحزب، وقد تتأزم القضية من أتباع لم يدركوا البعد الفكري المطلوب، ولعل من أبرز أسباب الأزمة في تاريخنا الفكري، انقلاب المدارس الفكرية الاجتهادية إلى مذاهب مقلده وأحزاب متصارعة وأدوات طائفية وطوائف سياسية يقودها الأتباع".[٣٥] وعندما يكون التعصب للجماعة باسم الإسلام فهذا انحراف فكري وجنوح سلوكي.

إن العصبية الحزبية تجعل هؤلاء الأفراد يغفلون عن الهدف التي قامت الجماعة من أجله، لتتحول الجماعة والتنظيم من وسيلة لتحقيق الهدف إلى هدف وغاية بحد ذاتها. كما أن المنهجية التربوية والمفاهيم الحركية

تعزز هذا الانحراف وتغذي تلك العصبية، باعتبار" أن الوسيلة تصبح هدفا والهدف الأصلي يبهت ويغيب، والواجب اللازم يصبح واجبا بالأصالة والواجب الأصلي يتراجع ويفقد جاذبيته الضابطة لحركة المسلمين، وهكذا .. يصبح الانتصار للفصيل الذي ينتمي إليه الفرد هو أول واجب يبحث عنه و ينشأ عليه، وطبيعي أن يغرس في الأفراد كثيرة من الأفكار المغلوطة وربما المغالية في سبيل تبرير ذلك التوجيه التربوي الفاسد، كأن يقذف في روع الأفراد، أن هذا الفصيل هو وحده المنوط به قيادة الأمة، أو أن ذاك الفصيل هو الممثل لجماعة المسلمين أو هو الجماعة الأم". (٣٦)

وهكذا تتفاقم نزعة التعصب الحزبي لكل ما عليه الجماعة مما يصعب على هؤلاء تقبل أي نقد أو اعتراض أو نقاش لشيء من أفكار الجماعة ومناهجها؛ لأنها عندهم على حق في كل شيء ولا صواب إلا عندها، بل يرون أن مجرد النقد لموقف أو رؤية أو ممارسة للجماعة أو قرار اتخذته أو إطار حركي تقوم عليه، كأنما هو رد للحق الدامغ ونقد للصواب المطلق وطعن بالجماعة المقدسة. إنها العصبية الحزبية التي تؤكد فيها التربية على الأخص للحزب بالطريقة التي لا تقبل معها أي نقد أو مناقشة للأفكار الرسمية المتبناة من قبل قيادته، بحيث يتحول الأمر إلى تعصب للإطار بعيدا عن حركة الفكرة في العقل أو الواقع.

ثم ما الفرق بين من يتعصب لقومه وطائفته وبين من يتعصب للحركة التي ينتمي إليها؟! "إنه استبدل بتعصبه لزعامة قبيلته تعصبا آخر لزعامة هذا الاتجاه أو ذاك، وبمعنى آخر فإن طريقته في التعامل مع الزعامة السياسية كانت تقوم على أسس تجربته نفسها في التعامل مع الزعامة القبلية، مثلما كان ينظر إلى الأخيرة على أنها محقة دائما نظر إلى الزعامة السياسية بالمنظار نفسه فهي على حق في كل مواقفها وقراراتها بينما الآخرون مقيمون على الخطأ ولذا فلا مبرر للحوار مع أي من أولئك الآخرين". (٣٧)

وهكذا فإن "من التعصب للجماعة أو الحزب أن يضفي عليها من الصفات ما يشبه القداسة أو العصمة، فكل ما تقوله فهو حق وكل ما تفعله فهو جميل وكل ما يصدر عنها فهو صواب وكل تاريخها أمجاد وكل رجالها ملائكة. وهذا ليس بصحيح فكل جماعة قامت لنصرة الإسلام وتجديده في العقول والأنفس والحياة والمجتمع، ليست أكثر من مجموعة من المسلمين تجتهد في خدمة الإسلام وإعلاء كلمته وهي في اجتهادها تصيب وتخطئ ". (٣٨) ولكن الشخصيات الحزبية لا تعي هذا ولا تدرك طبيعة الفكر، بل تستلهم جميع أفكار الجماعة وتدور معها حيث دارت ولا تنفك عن الحماسة لها والدفاع عنها وتبرير أي خطأ فيها وإبرازها بصورة مقبولة عند الآخرين، كما لا تسمح هذه الشخصيات لنفسها أن تتوقف مع بعض تلك الأفكار والآراء والمناهج لتعطيها شيئاً من التمحيص والفحص والدراسة المتأنية، أو لتقف لحظات مراجعة وتقويم لبعض المواقف والممارسات والأساليب التي تتخذها الجماعة.

إن نزعة التعصب تأبى على هؤلاء ممارسة شيء من ذلك النقد وتلك المراجعة؛ لأن "الحزبي عموماً أعمى وأداة صماء للتنفيذ، ما لم تحصل يقظة بأداة النقد الذاتي، إن الفرد في الحزب يقوم بدور النقل أو التبرير، وعلى هذا فهو يحاول تعميم الأفكار التي تلقنها ودرسها بحماس أكثر من ميله إلى تقويمها ومراجعتها ومقارنتها بالأفكار الأخرى، وهذا يقود إلى ظاهرة التبرير للأفكار التي تصدر من الجماعة التي ينتسب إليها الفرد".(٣٩) لأنه يرى أن الدفاع عنها هي أقدس الواجبات وتبرير أفكارها أسمى المهام والتصدي للناقدين والمعترضين عليها أفضل الجهاد، حيث لا يعترف لها بالخطأ ولا يقر به حتى وإن اتضح وتبين وعلم فساده، لأن رأي وفكر ومنهج الجماعة بنظره حجة بذاته وأصل لا تنازل عنه، بل وهو المقدم على كل شيء. لذا "قد تتفاقم هذه الآفة فتعمي وتصم، وبدلاً من أن يكون التعصب للحق والنزول عند حكم الشرع هو الأساس، يحل محله التعصب للتنظيم والأشخاص ولسياسة التنظيم، وبدلاً من أن تكون الدعوة للإسلام تصبح الدعوة للتنظيم ولو من غير إسلام وبدون التزام!! وبمقتضى ما تقدم يتبين لنا أن ظاهرة التعصب لهذه الفئة أو تلك بدعة خطيرة وانحراف مريع في التفكير والتصور والسلوك والتربية".(٤٠) إذ يصبح التنظيم وكأنه وثنٌ يعبد من دون الله، وتصبح الجماعة هي الأصل والإسلام هو الفرع.

ومعنى ذلك أن العصبية الحزبية تحول الأفراد من دعاة لله وللإسلام إلى أدوات مسخرة لخدمة عصبية حركية استحوذت عليهم، ويتقدم الولاء للتنظيم ليحل بديلا عن الولاء العام للإسلام، ذلك أن العصبية الحزبية عندما تستبد بالنفوس فإنها تحجر العقول وتجمد الأفكار وتعمي الأبصار، "فنحن إزاء سلوك فكري يتجلى في تقديس الأصول أو عبادة النماذج أو التعلق الماورائي بالأسماء والتوقف الخرافي عند العصور".(٤١) وهذا هو واقع الجماعات الإسلامية المعاصرة وذاك حال أفرادها وأتباعها، فبمجرد ارتباطهم بهذه الجماعات حتى يستبد بهم الغلو فيها والتعصب لها، والدفاع عن مبادئها وأفكارها، والانتصار لها بالحق والباطل، والتمحور حولها والانغلاق عليها بكل ما فيها.

إن العصبية الحزبية تسلب إرادة الإنسان وتسوقه سوقا إلى مواطن النزال وتخوض به معارك عنيفة، وهذا النزال وتلك المعارك كلها تهدف إلى الانتصار للجماعة والاستماتة في الدفاع عنها وعن مبادئها وأفكارها، لأن العصبية الحزبية تحول الإنسان إلى عبد للحزب، أو أداة صماء تتحرك بطريقة آلية تبعا للجهاز الذي يحركها، من دون أن يكون له رأي أو كلام أو اعتراض، كما تدفعه إلى التعصب له في كل شيء وإن كان باطلاً، فلا يقبل عليه أي نقد أو أي اعتراض.

وإنه لشيء مؤسف أن نشاهد اليوم الكثير من أفراد الجماعات الإسلامية المعاصرة يقودهم التعصب إلى الانتصار لجماعاتهم بالحق والباطل والخطأ والصواب، كما يتجاهلون أخطائها ويغمضون أبصارهم ويغلقون

أسماعهم أمام أي إشارة وتنبيه لخطأ وقعت فيه الجماعة، كما يتغاضون عن أي مخالفة شرعية وقعت فيها الجماعة، ويبادرون إلى التهوين من شأنها والإقلال من حجمها واعتساف المبررات والأعذار لها.

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل يبلغ المستوى بأمر الحزبية والتحزب إلى دركات سحيقة من التعصب والغلو وتقديس الجماعة، عندما يلمح ويصرح بعض هؤلاء المتعصبين بأن نقد الجماعة إنما هو نقد للإسلام ذاته والدين نفسه، كما يعدون مخالفة الجماعة في توجهاتها ورؤاها ومواقفها وسياساتها كأنما هي مخالفة للإسلام المعصوم، وذلك لأن هذه العقليات ترى الجماعة مصدرا نهائيا للحق ولاحق بعد ما عندها وما فيها والحق الذي يرتضيه ويقبله هو ما جاء عن طريق الجماعة وحدها.

وعندما يتطور الخلاف مع الآخرين وتبرز المعارضة للجماعة بقوة وربما يظاهر البعض بعدائها، فإن المتعصبين يظهرون تارة و يضمرون العداء للجماعة تارة أخرى وحقداً على الإسلام ومكراً به، ويترتب على هذه المفاهيم التعصبية ممارسات إقصائية ضد الآخرين ومآس في الساحة الإسلامية، حيث وجدنا من يرى الذين يختلفون معه في الإطار الإسلامي الآخر أعداء له وللإسلام، وقد يؤدي به الأمر إلى العدوان عليهم مما يسهم في تأجيج الصراع الإسلامي في جسد الأمة وتغذية مظاهر الأزمة الفكرية المعاصرة.

وهذا كله ليس إلا تعصبا للجماعة وحماية لها من النقد والمعارضة، حيث يتقدم الانتصار للكيان الحركي قبل المبادئ والأفكار، والدفاع عن المظاهر والأشكال قبل الحقائق، ذلك أن "المشكلة التي أصابت العقل الإسلامي أو التنظيمات الإسلامية في مقتل هي انقلاب الوسيلة (التنظيم) إلى غاية بحد ذاتها وتبرير كل شيء من الكسب والخطأ في سبيل حمايتها".(٤٢) كما أن العصبية الحزبية عند التيارات المتعصبة تبرز من خلال صورة أخرى هي :

٣-التحزب للمفاهيم والمبادئ الحركية للجماعة وتحديد الموقف من الآخرين بناء على موقفهم منها.

حيث نرى أن بعض التيارات المتعصبة تتحزب لمجموع أفكارها ومبادئها المنهجية ومفاهيمها الحركية وتتكتل حولها، وتنتقل بها من إطارها الفكري الاجتهادي وإطارها العام الواسع وتضيق حدودها وتبتعد بها عن مقاصدها وطبيعتها لتصبح هوية لها، وتجعل فهمها لذلك كله معيارا ترتكز عليه في تحديد الموقف من الآخرين فمن وافقها في كل شيء وانضوى داخل إطارها الحركي عقدت له الولاء ومنحته الثقة، ومن خرج عن إطار رؤيتها الضيقة وفهمها المحدود نزعت منه الثقة ورفعت عنه الولاء وكنت له العداء وصوبت نحوه الحرب والإيذاء.

وهكذا تحصر العقليات المتعصبة الولاء لمن سلم لها بكل أفكارها ومفاهيمها الحركية وتسلبه عمن خالفها وتدينه بتلك المخالفة، بل طغى على هذه العقليات "العنف الرمزي الذي يمارسه المثقفون العقائديون والملتزمون بعقليتهم القائمة على الحصر والاستبعاد أو على التصنيف والإدانة".(٤٣)

وفي الإطار الإسلامي يصبح الهوى هو الذي يتحكم بالموقف من الآخرين، وتغيب الروابط العامة ونقاط اللقاء الكثيرة والمبدأ العام الجامع الذي ينتسب إليه الجميع، لتطغى العصبية الحزبية.

إن نزعة التعصب الفكري تبرز في استبداد حركي يتمثل "في تلك العصبية البارزة من أصحاب الحركات القائمة لحركاتهم والتي تصل أحيانا كثيرة إلى حد تقديم الولاء للحركة على الولاء للإسلام، وتقيم حاجزا غليظا بين أفرادها وبين غيرهم بصورة قد تبدو فجة وصارخة، مما يولد حزازات نفسية ويرسب في المشاعر روح الفرقة والعداء للآخرين".[٤٤]

إن وقوع بعض الجماعات الإسلامية في حمأة التعصب الحزبي لم يكن إلا نتيجة حتمية لتقديس الأفكار والاجتهادات البشرية وتحويلها إلى عصبيات سياسية وتجمعات حزبية، ومن ثم عقد الموالاة والمعاداة بناء على الموافقة أو المخالفة الفكرية والتحزب للموالين والتعصب ضد غير الموالين للجماعة ويصبح الولاء والموافقة معيارا للقبول والرفض والتقويم والحكم على الآخرين.

وعندما تتحول بعض المفاهيم الفكرية والمصطلحات الحركية "من معناها الصحيح الذي وضعت له إلى معان ضيقة تكتلية وعقدت عليها الموالاة والمعاداة، كان ذلك بلا ريب تعصبا مذموما وحزبية ضيقة".[٤٥] وهذه العصبية لا تقوم إلا على الهوى، حيث أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: " تجد قوما كثيرين يحبون قوما ويبغضون قوما لأجل أهواء لا يعرفون معناها ولا دليلها، بل يوالون على إطلاقها أو يعادون من غير أن تكون منقولة نقلا صحيحا عن النبي صلى الله عليه وسلم وسلف الأمة، ومن غير أن يكونوا هم يعقلون معناها ولا يعرفون لازمها ومقتضاها".[٤٦]

إن اجتماع فئة من الناس على منهج دعوي إنما هو وسيلة لتحقيق غاية كبرى، ومثل هذا الاجتماع لا يقتضي حصر الولاء وتضييقه في إطار الملتقين حوله وسلبه عن الآخرين، حيث يربط الجميع المنهج العام الذي ترجع إليه هذه المناهج المحدودة، والانتساب لجماعة لها مسمياتها وأشكالها لا تستلزم معاداة من كان خارج إطارها الحركي، "فالاجتماع على المنهج وليس على الأشخاص، والافتراق أيضا على المنهج وليس على الأشخاص، إلا في حالة العمى العقلي وعدم الإبصار بسبب التعصب لفئة أو شخص أو عرق أو قوم، أو في حالة عدم وجود العزة الأكيدة على الالتزام بهذا الدين، ومن هنا أيضا كان الإسلام لكل المسلمين وكان مجتمع المسلمين مجتمعا مفتوحا يتألف بالحقيقة والاستقامة واستنشاق الهواء النظيف بعيدا عن "[٤٧] العصبية الحزبية البغيضة والتفرق باسم مبادئه، لأنه دين اجتماع لا دين افتراق.

لذا فموقع كل فئة أو جماعة من هذا الدين يعود إلى حقيقة المبادئ التي اجتمعت عليها وموقفها من الآخرين. " فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم

ما عليهم. وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا، مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق أو الباطل فهو من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله ".(٤٨)

والجماعات المختلفة إنما هي وسائل متنوعة تسعى جميعها لتحقيق هدف واحد لا خلاف حوله، " فلا ينبغي إذن أن تنقلب الأمور ويصبح الولاء لهذا التجمع أو ذاك ذريعة لقطع الولاء من بقية العاملين أو مشوشا على المفهوم العام لجماعة المسلمين، فيتحول إلى غاية وقد كان وسيلة، ويصبح منتهى السعي وقد كان شوطا من أشواطه، ويتمزق به ولاء الأمة بدلا من أن تجتمع به وتتوحد من خلاله، ويوم أن تصبح هذه التجمعات مفرقة للكلمة أو مشوشة على الولاء العام للإسلام والجماعة فإن شرعيتها من الأساس تكون محل نظر"،(٤٩) لأنها في هذه الحالة تصبح عبارة عن أجسام حزبية تصنع الحواجز بين المسلمين وتمزق الساحة الإسلامية وتبعثر الجهود وتقيم كيانات جزئية منفصلة عن الآخرين، إذ "ليس هناك أضر على الدعوة الإسلامية المعاصرة من الحزبية المنغلقة الضيقة، إنها داء وبيل يفتك بالأخوة الإسلامية فيقطع أواصرها ويجعل صفوفها كدرا".(٥٠)

إن العصبية الحزبية تنطلق من منطلق احتكار الحق والحقيقة، حيث " قد يكون مستند المتعصب لطائفة اعتقاده أنها على الحق، وهذا الاعتقاد ليس باعتقاد سائغ شرعا، إذ مناط الحق الكتاب والسنة وليست الفرقة المعينة، ومن جعل الحق مع طائفته مطلقا فهو من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا".(٥١) وهذا انحراف فكري خطير يغذيه الهوى بمنطق الحق.

المبحث الثالث : التعصب لفكر الجماعة الدعوي ولمنهجها في الإصلاح : التغيير والتصلب حوله.

إن نزعة التعصب الفكري عند بعض الجماعات الإسلامية تبرز بوضوح من خلال منهجيتها في الدعوة والإصلاح، إذ تطغى عليها وتتحكم بها نزعة التعصب من خلال الصور التالية:

١- التعصب للرأي الفكري للجماعة وتقديس كسبها البشري .

إذ أن الجماعة تستبد بالرأي وتنفرد بالفهم في قضايا الفكر الاجتهادية، وتدعي أن كل ما توصلت له من رأي أو فهم أو اجتهاد أو تصور أو رؤية أو موقف أو قناعة منهجية في جميع المجالات والجوانب، أن ذلك كله إنما يمثل الصواب المحض الذي لا يخالطه شك أو ريب والحق المطلق البين الجلي الذي لا لبس فيه ولا شبهة ولا غموض. كما أنها تحتكر الصواب والحق في مجمل فكرها ومنهجها الدعوي وتسلب ذلك عن أي فكر أو منهج آخر، إذ تمنح فكرها ومنهجها بمختلف جوانبه النسبة المطلقة من الصواب، وتعده وكأنه بديهيات مسلمة وحقائق ثابتة تتسم بالعصمة والقداسة.

وأنها بذلك كله وبمنهجها المتكامل قد فهمت الإسلام وأدركت أسراره واستوعبت مقاصده وأصابت جوهر الإسلام ولب الشريعة ووافقت هدي النبوة واستلهمت منهج السلف، وأنها وحدها قد تمثلت الصورة الصحيحة

للإسلام فأصبحت ممثلا شرعيا للإسلام، ونموذجا فريدا للفكر الإسلامي، وناطقا رسميا باسم الشريعة، ولها وحدها حق العمل الدعوي بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى والعمل للإسلام.

إن طغيان النزعة التعصبية يؤدي إلى تجاهل حقيقة كبرى لا تنفك عن الفكر البشري، ذلك أن الاجتهاد الفكري والمنهج الإنساني، " كسب بشري قابل للفحص والاختبار والتصويب والتخطئة والحوار والجدل، وليس له صفة القدسية أو على الأقل ليس هو الدين وإنما هو فهم الإنسان للدين، فلا قدسية لرأي ولا لاجتهاد ولا كهانة في الإسلام ولا حملة كتاب مقدس ينطقون باسم الله، وإنما هي فهوم بشرية لتنزيل الإسلام على واقع الناس معرضة للخطأ كما هي معرضة للصواب".(٥٢)

والاجتهاد البشري لا يمكن أن يرقى إلى درجة الوحي القاطع ولا يستحوذ على قدسيته، بل إنه يظل محل النقص والقصور والخطأ، يؤخذ منه الصواب ويرد منه الخطأ، ولا يمكن بحال أن يخرج عن الإطار النسبي، إذ أنه لا يقوم إلا على اجتهاد الفكر وغلبة الظن ورجحان الدليل، وكل رأي أو فهم أو اجتهاد، مما يعد فكرا لا يعد هو الدين ولا يمكن أن يكون تمثيلا كاملا له، و إنما ذلك جهد بشري يقوم على فهم الدين والاسترشاد به والتوافق معه وتحقيق التعبد به لله سبحانه وتعالى بما يقيمه في الأرض و يحققه في الواقع .

وقد علَّم الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يجعلوا من أفهامهم وأحكامهم البشرية هي حكم لله سبحانه وتعالى، بل ينسبوها لأنفسهم لأنها محل الخطأ والقصور، فقد روى الصحابي بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: اغزوا باسم الله وفي سبيل الله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله ولكن انزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا " .٥٣ و لكن عندما تغفل التيارات الإسلامية عن حقيقة فكرها وطبيعة مهمتها وغايتها، يبرز عندها :

٢- التعصب لمنهج الإصلاح والتغيير عند الجماعة والتسلط به على الآخرين.

حين تبرز النزعَة التعصبية من خلال أُحادية الفكر والمنهج عند الجماعة المتعصبة، وتحكم العصبية الفكرية لمنهج الجماعة في التغيير والعمل الإسلامي، فإن الجماعة تحدد رؤيتها في التغيير في إطار معين، أوبناءً على رؤية محددة، ووفق منهج خاص بها، وتحصر نفسها في منهجها الضيق، ورؤيتها الأُحادية، وتعد ذلك هو المنهج الوحيد الصحيح والمناسب، والذي يمكن أن يتحقق التغيير من خلاله، وأنه الطريق الأوحد للعمل الإسلامي الذي اختطه الرسول صلى الله عليه وسلم وسار وفقهه صحابته وسلف الأُمة، وأنه هو المنهج الشامل الذي جاء به الإسلام، ثم تدّعي أنه لا صواب إلا في رؤيتها الإصلاحية، ولاحق إلا في منهجها التغييري، وأن ما سواه من الأفكار والمناهج الدعوية يتسم بالنقص والقصور والخطأ ومجانبة الصواب، وهكذا تختزل الإسلام بمنهجها، وتحصر العمل للإسلام برؤيتها، ولا تعترف بما سواه.

ويرتفع التعصب درجة أعلى من خلال الإسراف في عرض منهج الجماعة، فتصفه بأنه وحده المنهج الذي يحمل الخير للمجتمعات الإسلامية، وأنه يعد المخلص للأُمة والمنقذ لها من معاناتها وآلامها وواقعها المرير، كونه يحمل كافة الحلول الناجعة لجميع المشكلات والمعضلات القائمة.

وقد لا تُستثنى جماعة إسلامية في ساحتنا المعاصرة، إلا ويغلب على منهجها وتفكيرها وخطابها الدعوي والفكري "أُحادية النظرة، واعتبار أن ما تقدمه يُشكل الرؤية المتكاملة المكتشفة لكل الحقيقة، والعلاج الشافي لكل أمراض الأُمة وسائر أزمتها"،(٥٤) وأنه لا طريق غير طريقها، ولا منهج غير منهجها، يمكن به أن تعود المكانة للمسلمين، ويتحقق لهم التمكين في الأرض، والعزة بين الأُمم، والريادة على البشر. وأنه بمنهجها فقط يمكن أن يعلو صوت الإسلام، وتخفق رايته عالية في كل الآفاق، ويؤوب الناس إلى ربهم، ويستجيبوا لشرعه، وبه ينهزم الباطل، وتندحر راياته، وتندثر مناهجه، وتسقط أفكاره.

وهكذا قد لا نجد جماعة إسلامية إلا وهي تدندن حول هذا، وتدعي امتلاكها لمفتاح النجاة، وسر الخلاص، وأن النصر والفلاح مقرون بمنهجها وتحت رايتها، كونها بما تمتلك من صواب وحق، قد تبوأت مقام الريادة في الفكر، والإمامة في الدين، والصدارة بين الجماعات، وأنه قد تحققت فيها الشروط الإسلامية اللازمة للفرقة المنقذة للأُمة، وقد تجمعت فيها المواصفات الكاملة لحزب الله الذي يستحق النصر والتمكين .

وهكذا وللأسف نجد كل تيار على درجة من الغلو و مستوى من التعصب في المنهج و غياب الوعي بالمعتبر من هذه الأفكار على نحو من الغفلة الفكرية والتربوية . و مظهر ذلك أن يرفع شعاره الذي رفعه فرعون، شعار الاستبداد والتسلط والغرور بالذات، والذي أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: " يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ " (غافر: ٢٩).

إن هذه الجماعات الإسلامية تستبد بمنهجية التغيير وطرقه ومناهجه وأساليبه، وتُقدس منهجها في العمل الدعوي، وكأنه المنهج الواحد الصحيح، وتحصر وسائل وأساليب العمل الإسلامي فيما تراه وتتخذه وتمارسه من صور، وتجمد عند أساليبها، وترفض ما سواها، فهي لا ترى إلا طريقاً واحد ولا تقبل أن تتزحزح عنه. وتتمحور هذه التيارات حول منهجها في الإصلاح والتغيير، والذي قد يكون منهج جزئي أو مقتصر على جانب واحد أو بعض جوانب الإسلام، تضخمّه وتبالغ فيه وتعده هو كل شيء وكل ما ينبغي التركيز عليه، ولا قيمة لأي اهتمام سواه. وقد يكون في منهج الجماعة شيئٌ من الشمول، ولكنها لا تقر للآخرين باهتماماتهم، وبالدور الذي يقومون به وبالثغرة التي يسدونها.

وتتفاوت اهتمامات الجماعات الدعوية والإصلاحية ولكل جماعة ميدانها، فنرى جماعة تركز على تصحيح العقيدة وتحقيق التوحيد ومحاربة الشركيات والبدع وتنقية التدين مما شابه، ورفض ما سوى ذلك من مناهج

واهتمامات دعوية مغايرة لها وتراها مناهج مبتدعة منحرفة. وجماعة تركز على بعض الجوانب الخلقية والسلوكية وما يتعلق بتثبيت الإيمان في النفوس، ولا ترى ضرورة لأي اهتمام أو منهج آخر. وجماعة تركز على الفكر والعمل السياسي وترى التغيير لا يتم إلا بثورة فكرية، وسياسية وتنتقص المناهج الأخرى وتزدريها. وجماعة ترى التركيز على تربية المجتمع على الإسلام وتنمية الإيمان في النفوس والاهتمام بالعلم الشرعي، وغربلة الموروث النبوي والتمييز بين صحيحه من ضعيفه إحياءً للسنة النبوية. وترى جماعة أخرى أن الجهاد وحده هو الطريق وهو المنهج الصحيح في إحداث التغيير، كما ترى أن أصحاب المناهج المخالفة إنما يسودهم الجبن والهلع من الحكومات والأعداء وأن جهودهم لا قيمة لها، وأن العصر هو عصر القوة، وترى أن الجهاد هو الفريضة الغائبة التي يجب إحياؤها . وجماعة تركز على النشاط التربوي والدعوي والفكري والعمل السياسي بشتى صوره، وترى أن هذا هو منهج الشمول، وتستهين بما عداها من مناهج.

وتبرز نزعة التسلط عندما تدعو كل جماعة غيرها من الجماعات أن تتخلى عن منهجها وأفكارها وأن تلحق بها، إذ لا مناص من لحاق الجميع بها دونما سواها من الجماعات والمناهج، كما ترى أنه لا مبرر مطلقاً لقيام أو وجود أي جماعة أخرى بجوارها، وتدعو الجميع أفراداً وجماعات إلى اللحاق بها والانضواء تحت شعارها، وعدم التخلف عن ركبها، كونها تمتلك المشروعية الفكرية التي تؤهلها لتكون قائدة وقدوة يحتذى بها، وأنها تمثل القاسم المشترك الذي يمكن أن يلتقي الناس جميعاً حوله، ويجب أن يتوحدوا تحت قيادتها، ظناً منها أنها وحدها سفينة النجاة، وطريق الرشد، ومسلك الهداية، ونهج الخلاص، وأنها هي الجماعة الأصل والأساس الذي ينبغي أن ترجع لها كل الفروع، وهي صاحبة القوامة على الآخرين، ولها حق الاتباع وحق الطاعة وحق الانقياد، ومنهجها كفيل باستيعاب الجميع، ويمكن به أن تتحقق الوحدة الفكرية للمسلمين، والوحدة التنظيمية للجماعات الدعوية، فهي الجماعة الرائدة والجماعة الأم والجماعة الكبرى. ويالها من حزبية مقيتة!! وهذا هو "ثمن النخبوية الحزبية والنرجسية الثقافية والطوباوية العقائدية، وهذا ثمن التشبث بالثوابت المطلقة، والنطق باسم المشروعية العليا للأمة، أو خلع القداسة على الأفكار والأحداث، أو الأشخاص والأفعال".(٥٥) على أن هذا التعصب للمنهج الفكري وتقديسه، والتعصب بمنهجية التغيير، يؤدي بالتيارات المتعصبة إلى:

٣- الانغلاق على القناعات المنهجية للجماعة والضيق بالرأي الآخر ورفض وجهات النظر المغايرة.

إن إعجاب هذه التيارات بمناهجها الفكرية، وشعورها بامتلاكها الحقيقة، وتحكم العقلية الحزبية الضيقة عابها، يجعل الأُحادية الفكرية تهيمن عليها وتستبد بها، فنراها تتمحور حول مدرسة فكرية واحدة، وتتصلب حول قناعاتها الفكرية والمنهجية، وتنغلق أمام أي رأي، أو فكر، أو منهج مغاير مهما كان وجيهاً، وثرياً، ومفيداً، ونافعاً. فالعقلية الحزبية الضيقة ترفض أي شيءٍ من ذلك مادام مصدره الآخرون ، ومنبعه من خارج الجماعة، ولا

تسمح لأي رأي من ذلك أن يدخل إلى عقولها، أو أن يخالط فكرها، أو أن يُعتمد ضمن منهجها، أو أن تستفيد منه ومما فيه من خير وصواب.

إنّ هذه العقليات ترفض تلاقي الآراء، وتلاقح الأفكار، وتراكم الرؤى والتصورات، وتكامل المناهج، وتبادل الخبرات، في إطار الفكر الإسلامي وقضايا العمل الدعوي، إغفالاً لطبيعة الحركة الفكرية " في التكوين والنمو، و ذلك أنها تتحرك وفق مبدأ تراكم الخبرة، وتلاقح الآراء، وإعادة تركيب المعطيات العقلية، ثم الإضافة المبدعة إليها، بمعنى: أنه لا توجد فكرة إنسانية كاملة متكاملة، بنضجها ومصداقيتها الذاتية والواقعية، وإنما هناك دائماً المحاولة الأولى، ثم تبدأ سلسلة من الأخذ والرد حولها، وتهذيب جوانبها وتصفية شوائبها، حتى تصل إلى ذروة النضج، وكمال الروعة، على المستوى البشري المحدود". (٥٦) ولكن العقليات المتعصبة لا تستوعب هذا، بل ترى أن جميع آرائها وأفكارها قد وصلت درجة الكمال والنضج الفكري.

وهكذا "فإن انغلاق بعض التنظيمات الإسلامية على نفسها والانكباب على وجهتها، جاء ثمرة طبيعية لتلك العقلية التي توهمت أنها تقدم الحل وتمتلكه دون غيرها، فعمّقت الأزمة، وكرّستها".(٥٧) فكل جماعة تتحزب لقناعاتها، وتنغلق عليها، ويضيق أفقها عن استيعاب ما عند غيرها، أو حتى إجراء حوار جاد مع الأفكار المخالفة، ودراستها بعمق، وهذا "يحول بينها وبين الإفادة من الرصيد الفكري للآخرين، الذي يمكن أن يُخصّب الرؤية، ويُغني العقل، ويصب في الهدف نفسه، وبذلك تنقلب المؤسسة الفكرية الرحبة إلى طائفة مغلقة تحاصر نفسها قبل أن يحاصرها خصومها، بدل أن تكون قادرة على الإفادة والتعاون والتفاعل، والانتشار والتنسيق مع المؤسسات الأُخرى التي تحمل الهم نفسه وتعمل للهدف نفسه أيضاً". (٥٨)

كما أن الأُحادية الفكرية لدى هذه التنظيمات الإسلامية، تجعلها تتوهم أن الانغلاق على ما لديها وأمام ما عند الآخرين هو من باب الحفاظ على الوحدة الفكرية للجماعة، فتسعى لتحصين صفوفها بالانغلاق الفكري والمنهجي أمام أي وجهة نظر مخالفة تحرزاً من اختراق الأفكار المخالفة لها، وعليه فإنها ترفض الانفتاح أمام الجماعات المخالفة. " و هذا مرض آخر ناتج عن حب التفرد والزعامة أيضا، فبعض القيادات يتعصب تعصباً أعمى لرأيه أو حتى لمجموعته الحزبية الضيقة، ويضيق أفقه عن ضرورة التعاون مع الآخرين والانفتاح على الناس وخاصة العاملين في الميدان الإسلامي الذي يعمل فيه، مثل هذه القيادات تخشى أن تضيع في الدائرة الموسعة، ويصغر حجمها عندما تخرج عن القوقعة الصغيرة التي حقرت نفسها داخلها".(٥٩) وهذا يعني أن مسألة الزعامة الحزبية والقيادة التنظيمية لها تأثيرها، وأن للنفوس البشرية دورها الفاعل في ترسيخ هذا الانغلاق الحزبي.

إن هؤلاء الذين يحتكرون والصواب في آرائهم، نراهم "لا يسمعون لمن يخالفهم في الرأي، ولا يقبلون الحوار معه، ولا يتصورون أن تتعرض آرائهم للامتحان، بحيث توازن بغيرها، وتقبل المعارضة والترجيح". (٦٠)

وبالنظر سريعاً على ساحتنا الإسلامية المعاصرة، يتبين لنا أن "حياتنا أصبحت تضيق بالخلاف وهي مثقلة بالرأي الواحد و بمبدأ التعصب، فأضحينا لا نطيق الرأي الآخر حتى وإن يكن من الحركة الإسلامية".[٦١] وأصبح الذي يغلب على الحركات الإسلامية بدون استثناء، الضيق بالرأي الآخر ورفض أي وجهة نظر مغايره، والكثير من الأدبيات والإصدارات والكتب المنهجية تكاد تنطق بهذا، وما يدور في الجلسات الخاصة واللقاءات التنظيمية والحزبية، والأنشطة التربوية والدعوية، هو الإشارة إلى أن الجماعة تملك الصواب المحض والمنهج المتكامل، وأن كل ما عندها من آراء وأفكار وتصورات ومناهج وممارسات، هي مبادئ مُسلمة لا ينبغي النظر إلى ما سواها، فكل ما خالفها مرفوض، ولا مجال لقبول أي رؤية أخرى.

إن الضيق بالرأي الآخر ورفض وجهة النظر المغايرة، يقوم على عد كل ما خالف الجماعة فهو خاطئ ولا قيمة له وإن كان صادر من داخلها ومن المحسوبين عليها، "وفي ظل تعاليم ذهبت إلى أن كل ما توصلت إليه حتمي ونهائي، فإنه يتعذر قيام الرأي والرأي الآخر، إذ لا مجال لذلك في ظل تلك النهائيات والحتميات، ذلك أن المعارض لها لا يعدو أن يكون – من وجهة نظر قائلها – معارضاً لطبائع الأشياء، ومن ثمّ فلا يجوز السماح والسماع لرأي"[٦٢] مخالف لوجهة نظر الجماعة، وقد يرفضون السماع للرأي المخالف ووجهة النظر المخالفة دون إتاحة الفرصة الكافية للنقاش والحوار والدراسة المتأنية لكل فكرة مخالفة. وهذا السخط من الآراء المخالفة ، إنما يدل على ضيق الأُفق، وجمود العقول، وانغلاق الفكر، "وعندما يحدث لسبب أو لآخر ضيق في الأُفق الفكري عند بعض الفئات الإسلامية فلا تتسع عقولهم للآراء المخالفة لمعتقداتهم، فإن الفكر عندهم يصبح حدِّيَّاً لا يستوعب إلا الرأي الواحد، وهو بالتالي يرفض الرأي المخالف".[٦٣] ومن هنا يرفضون حتى مجرد السماع له، وكأنهم واثقون من فساده وزيفه، مع شن حملات اتهام، وتشويه وانتقاص ضد وجهات النظر المخالفة، بأسلوب مباشر أو غير مباشر لكي تنفرد بالأمر، وتستبد بالساحة، ويعلو فكرها، وينهار ما سواه.

وغدت قضايا الفكر الإسلامي ومسائل العمل الدعوي، محط التعصب والمتمثل "بتصلب بعض القائمين على القضية لآرائهم، والانتصار لها، وعدم قدرتهم على رؤية غيرها، واتهام وجهات النظر الأُخرى بالقصور والسذاجة، وأحياناً بالتفاهة، وذلك بإلقاء الكلام على عواهنه، الأمر الذي لا يليق بمن يتسنم قضايا الفكر، أو يشتغل بها".[٦٤] ويتطور الضيق بالرأي الآخر حتى يبلغ التضييق عليه إلى مستوى النفي والإقصاء والاستبعاد، ونزع أي مشروعية فكرية عنه، والسعي لإلغاء حقه في البقاء والحياة، وتغيب الروح العلمية في المواقف من الآراء الأخرى، لتحل مكانه الروح التعصبية، التي يرى أصحابها أن من واجبهم قمع أي رأي مخالف لأنه باطل يتعارض مع الحق الذي يحملوه. إن "أولئك الذين يريدون إخماد الرأي الآخر، هم أنفسهم غير معصومين من الخطأ، ومن ثمَّ فهم عندما يرفضون الإصغاء لأي رأي مخالف لأنهم واثقون من زيفه، فإنما يزعمون لأنفسهم العصمة من الخطأ".[٦٥]

كما أن من صور التعصب الفكري والحزبي عند بعض الجماعات الإسلامية:

٤- الجمود على الأفكار التربوية والوسائل الدعوية والقوالب التنظيمية للجماعة ورفض أي تغيير فيها.

حيث إن نزعة التعصب تجعل هذه الجماعات تبالغ في التعصب لأفكارها ومناهجها التربوية ووسائلها الدعوية، وتتشبث بها وتُصر عليها، وتنغلق عليها، وتجمد عندها، وتتصلب حولها، وترفض أي تجديد لها، أو تغيير فيها.

فنرى هذه الجماعات تنغلق على أفكارها المنهجية وطرائقها التربوية، التي أنتجها جيل القادة والمشايخ والمفكرين الأوائل للجماعة في بداية نشأتها وتكوينها، وتعكف على الأفكار التي قامت عليها الجماعة عند ظهورها، والتي ربما كانت استجابة لمرحلة معينة، وظروف خاصة، وأحداث مؤثرة، وتجمد عند هذه الأفكار، وترفض أي تغيير فيها، أو التخلي عن فكرةٍ منها، وكأنها مبادئ معصومة وأفكار مقدسة، لا يجوز الاجتهاد بجوارها، أو الخروج عليها، أو الإتيان بفكرة بديلة عنها تتناسب مع المرحلة التي تمر بها الجماعة والأمة، أو تستجيب للمستجدات المعاصرة، وتتكيف مع المتغيرات الحادثة، خوفاً من أي فكرة منهجية دخيلة على بنيتها التربوية ووسائلها الدعوية قد تراها من الانحرافات الفكرية والمنهجية، أو وأنها ستؤدي إلى تمزيق وحدة الجماعة كما تتوهم.

وهكذا أصبحت بعض التيارات الإسلامية تمارس تقديساً للفكر التربوي والدعوي البشري، وتحجيماً لمبادرات الاجتهاد المطلوب والتجديد المقبول، من خلال " العكوف على فكر الذات، الذي كان إفراز عصر معين، ومشكلات معينة، واعتماده لكل المراحل، وبذلك أغلقت حتى باب الاجتهاد الفكري، كما أغلق غيرها باب الاجتهاد الفقهي، للحجج نفسها، وكما نقل القدسية بعض متأخري الفقهاء، من الكتاب والسنة إلى أقوال الفقهاء، فكذلك نقل الصوابية والحق المطلق، بعض المتحزبة إلى أقوال الزعماء والقادة"،[٦٦] فأصبحت هي الأفكار التي تُردد، والأقوال التي يستدل بها، والتوجيهات التي تسير الجماعة بناءً عليها، والمفاهيم التي يتربى عليها أفراد الجماعة، والشعارات التي ترفع. "وقد لا نستغرب إذا رجعنا لأدبيات بعض الحركات الإسلامية، أن نجدها منذ أكثر من نصف قرن تقريباً، تراوح في مكانها، وتعيد قراءة نفسها، وتكرر أطروحاتها، وتعيش على أفكار روّادها الأوائل، وتحتمي بهم، لتستر عجزها عن العطاء المأمول" [٦٧] ، بل إن هذا تشجيع من هذه الحركات للتقليد، وتربية عليه، وإقرار للجمود، وتثبيت له، وحجر على التفكير، وإحباط لمبادرات الاجتهاد والتجديد، وتحجيم لدور المفكرين والمجتهدين والدعاة في صفوفها، وخمد لأفكارهم أن تبرز أو أن تنطلق داخل الجماعة وفي إطار أفكارها الرسمية، ومناهجها المعتمدة، وتصوراتها المنهجية، وإلا فهي مردودة. و هذا المستوى من الانغلاق في حد ذاته قد يؤدي إلى تآكل الجماعة وسوقها إلى الضعف والانهيار والتلاشي، حيث "والحركة هنا – مثلها كمثل

الفقه وغيره من علوم الشريعة- لا تحيا وتنمو وتزدهر إلا بفكر المجددين المجتهدين، ولا تنزوي وتنكمش وتعقم ألا بفكر المقلدين الجامدين إن صح أن ما عندهم ليس فكراً ".[٦٨]

وقد يكون جمود الجماعات الإسلامية هنا متعلق بآراء وأفكار سياسية أو جهادية اتخذتها وسلكتها في مرحلة معينة، ولظروف محددة، ولأوضاع تطلبتها، وما تزال تشيعها في صفوفها وبين أفرادها وتربيهم عليها، مع أنه ربما قد ذهب وقتها، ولم تعد تتناسب مع الأوضاع المستجدة والمتغيرات الجديدة، ولكنها تتعامل مع مناهجها وأساليبها الدعوية، وكأنها مبادئ ثابتة لا تتغير ولا تتجدد ولا تتنوع، وكأنها أساسيات لا يستقيم العمل الدعوي إلا بها، لا مجرد اجتهادات وممارسات وصور خاضعة للتغيير والتبديل بحسب مقتضيات الواقع.

بل إننا " نجد كثيراً من العاملين للإسلام قد انتزعوا صورة للعمل الإسلامي من الفترات الماضية ثم جمدوا عليها وتحنطوا فيها، وهذا يدخلنا في أخطر قضية واجهت المسلمين وهي : التقليد للجمود".[٦٩] وهنا تتحول المتغيرات إلى ثوابت، والوسائل إلى غايات، والممارسات إلى أهداف بذاتها، وترفض أي وسيلة يمكن أن تحقق الأهداف، طالما أنها صادرة عن الغير، كما يظهر الإصرار على وسائل وأساليب تبين فشلها، وعدم صلاحيتها وصعوبة الاستفادة منها. لذا فإن " الجمود على الوسائل المعروفة والوقوف عندها والاكتفاء بها وإعطائها صفة القداسة، قضية أقل ما يقال عنها إنها تنافي الخلود لهذا الدين. إن وسائل العمل الإسلامي وطرائقه وأساليبه وهياكله وعناوينه التي أصبحت عند بعضهم ديناً لا يمكن تجاوزه، إنما هي أمور اجتهادية تخضع لقانون التغيير والاستبدال وليست لها صفة القداسة والثبات، ذلك أن الأهداف الإسلامية من الثوابت، والوسائل لتحقيق هذه الأهداف من المتغيرات، بشرط واحد أن تكون أوعية هذه الوسائل شرعية، ومحكومة بضوابط الشريعة أيضاً".[٧٠]

وهذه الرؤية الأُحادية لأساليب وطرق العمل الإسلامي، جعل بعض الجماعات تبذل جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً، حول وسيلة معينة، وتوجه جميع أفرادها نحوها، وتهمل ثغرات عديدة تتطلب وسائل مغايرة تتناسب معها، وتتغاضى عن وسائل وأساليب أخرى يقتضيها الواقع ومتغيراته، بل ربما إذا وجدت أحد أفرادها يهتم بوسيلة دعوية مغايرة لوسائلها، ويلتفت لأسلوب دعوي آخر، فإنه لا يقبل منه ذلك، ولا ينظر إليه أنه قد سد ثغرة متروكة، وأجاد وأبدع، ولا تصنف جهوده ضمن خطة الجماعة الدعوية وأساليبها. وهكذا فإن "بعض هذه الجماعات لم تر إلا طريقاً واحداً للدعوة، ووسيلة واحدة للعمل الإسلامي، الأمر الذي حمل بعض أفرادها على مغادرة مواقع الاختصاص في الجماعات، باسم التفرغ للدعوة والعمل الإسلامي".[٧١]

كما أن بعض الجماعات الإسلامية تتعصب للهيكل التنظيمي الذي تقوم عليه، والأطر الحركية التي تسير بمقتضاها الجماعة سواء أكانت ظاهرة أم خفية، وتجمد عندها، وتتعامل معها بحرفية، وتتحول هذه الأطر

الحركية والقوالب التنظيمية من وسيلة إلى غاية بحد ذاتها، فأي خروج عنها غير مسموح، وأي تغيير فيها مرفوض، وأي تجديد لها غير مقبول، وأي اعتراض عليها مردود.

وأصبح الغالب على أوضاع هذه الجماعات "المبالغة في المحافظة على الأشكال التنظيمية للحزب أو للجماعة، كأنها أمور تعبديه، حتى يضحي- في بعض الأحيان- بمصلحة الدعوة الإسلامية، والأُمة الإسلامية، كيلا تخدش الصورة التنظيمية. وهذا خطأ شنيع في الفهم، فالأشكال التنظيمية (وسائل وأدوات) تتغير بتغير الزمان والمكان والإنسان وليست (أصناماً تعبد) أو غايات تقصد لذاتها، كما يفهم ذلك من تصرفات بعض الغلاة في احترام التنظيم".(٧٢)

وهكذا أصبح التنظيم أصلاً ، وغلبت عليه الأعمال الإدارية حتى طغت على الأعمال الدعوية، واستهلكت معظم الجهود في كيفية الحفاظ على التنظيم بهيكله القديم وصورته السابقة. ولا تقبل هذه الجماعات الانتقال بصور التنظيم وأشكاله بحسب المتغيرات والمراحل، فقد "لوحظ أنه بمجرد قيام هيكل تنظيمي للحركة، يظل على ما هو عليه لفترة طويلة على الرغم من نمو الحركة وتغير ظروف وأوضاع المجتمع وإعادة ترتيب الأولويات".(٧٣)

كما ترفض بعض هذه التيارات حتى مجرد تغيير الاسم وتبديله لظروف معينة أو ضرورة ملحة، وكأن الثبات على القديم ثبات على الاسم نفسه، أو أن التخلي عن الاسم سيكون انحراف عن الأهداف التي قامت عليها الجماعة ويضعف جهودها وعملها، وهذا تصلب لا مبرر له، والصواب يقتضي أن "على كل هيكل تنظيمي أن يعكس أسلوب الحركة الحقيقي في العمل كي يحقق الأهداف التي قام من أجلها، كما ينبغي تعديله حسب الحاجة كي يستوعب التطورات. إن الهيكل الإداري لا يزيد عن كونه وسيلة لخدمة الهدف، من الخطأ تقديسه أو رفض تعديله".(٧٤)

بل إن انحرافاً تربوياً سوف يخيم على أعضاء هذه الجماعة، حتى أنهم قد ينسون غايتهم الحقيقية وينشغلون عنها بالتنظيم، وقد تقف هذه النظرة المقدسة للأطر التنظيمية، عائقاً أمام إنجاز بعض الأعمال، وتحقيق بعض الأهداف الجوهرية التي قام التنظيم من أجلها، وهذا الخلط بين الوسيلة والغاية قد يحجم النشاط الدعوي على حساب النشاط الحركي، "وقد أدى ذلك اللبس إلى انشغال الجماعة بنفسها أكثر من انشغالها بالمجتمع الذي تقوم من أجل إصلاحه وخدمته.

قد يبين تحليل إحصائي تقريبي لتوظيف وقت الأعضاء وأموالهم وجهودهم أنّ حوالي ٧٠% منها يصرف في معالجة الشؤون الداخلية للحركة، بينما يخصص ٣٠% فقط لصالح المجتمع الخارجي، في حين ينبغي أن يكون الترتيب الصحيح عكس ذلك تماماً".(٧٥)

وأصبحت التربية في هذه الجماعات تقوم على إعظام القادة وإجلالهم، مما جعل الجماعة لا تسعى لصناعة قادة جدد، ولا تقبل أي منافسة لهؤلاء القادة، "كما قادها ذلك إلى التمحور حول القائد الملحمة، الذي يعرف كل شيء ويحسن الكلام في كل شيء"،(٧٦) ويدير كل شيء، ويتحكم بكل شيء، بأساليب إدارية وخواء تروي فكري أحياناً. وهذا أدى إلى تغييب الشخصيات العلمية والفكرية واستبعادها عن المناصب القيادية، وتقديم الشخصيات الإدارية القيادية مهما كانت ضعيفة في الفكر، شحيحة في العلم.

ويؤكد أحد النقاد الباحثين للجماعات الإسلامية "أن هذه التنظيمات في معظمها إن لم نقل كلها، انتهت إلى لون من القيادات التي ظنت أن القيادة تعني الإشراف الإداري، والتي يمكن وصفها بالقيادات الإدارية —إن صح التعبير— وعجزت عن إنتاج قيادات فكرية، ذلك أن هذه القيادات الإدارية بطبيعتها تبقى عاجزة عن تحضير المناخ لنمو قيادات فكرية، فهي بطبيعتها الإدارية الرتيبة تضيق ذرعاً بأي تطوير أو تفكير، أو تغيير، وكل الذي يعنيها: الإبقاء، والإصرار على صورة الماضي، للمفكرين الرواد الأوائل، على الرغم من تغير الظروف، والأحوال، والمشكلات، الأمر الذي يستدعي تغير الحلول واختيار الوسائل المناسبة لمحاكاة العصر، من خلال الواقع، وما استجد فيه من قضايا ومشكلات".(٧٧)

ولا نجد إلا في النزر اليسير بروز قيادات جديدة، وتخلي قيادات قديمة عن مناصبها، واستبدال أفكار القادة الأوائل بأفكار جديدة، ولكن الغالب هو تحزب الجماعات لقوالبها التنظيمية، وتصلبها حول نموذج القائد التنظيمي الرمز، الذي لا ينبغي التفكير بالاعتراض عليه أو تغييره وإزاحته من منصبه، مهما كانت مبررات ذلك متوفرة، ولو من باب تغيير الوجوه وتدويل المناصب التنظيمية، ونزع صفة التقديس عن القادة، والخروج من القوالب الجامدة التي تستبد بالجماعة.

ولكن ومما يؤسف له، أن معظم الجماعات الإسلامية تتبنى نموذج القائد الشيخ الرباني، ذلك البطل الملائكي العالم بكل شيء، والقادر على كل عمل، والذي يقود الجماعة مدى الحياة. وترتبط الجماعة بهذا القائد الرباني الذي لا يمكن تنحيته عن منصب الزعامة والقيادة ارتباطاً مصيرياً.

والواقع يشهد مدى استبداد وتعصب الكثير من الجماعات الإسلامية لمناهجها، من خلال "الجمود على شكل معين في التنظيم، وعلى وسائل معينة في التربية، وعلى صور معينة في الدعوة، وعلى مراحل معينة في الوصول إلى الهدف، وعلى أفكار معينة في السياسة، ومن حاول أن يغير من هذا الشكل أو تلك الوسيلة، أو هذه الصورة أو تلك المرحلة، أو تلك الأفكار، أو يعدل فيها بالزيادة والنقص، قوبل بالرفض الشديد، أو الاتهام والتنديد".(٧٨)

ثم كيف تتبنى هذه الجماعات الدعوة إلى الإصلاح والاحتكام إلى الكتاب والسنة النبوية والتغيير الشامل في المجتمعات الإسلامية، وهي تقف عاجزة عن التغيير الداخلي في أفكارها ومناهجها وأساليبها وبناها

الحركية وقوالبها التنظيمية؟! وكيف تندد هذه الجماعات بمن يتصدى لها ويعيقها عن مهمتها الإصلاحية، وهي تتصدى لكل من يحاول أن يصلح أحوالها أو أن يحدث تغييراً داخلياً إيجابياً فيها؟ بل كيف أنّ هذه الجماعات تحارب تقديس الزعماء والقادة واستئثارهم بالسلطة وقيادة المجتمعات الإسلامية دون أن يفسحوا المجال للآخرين، وهي تقدس زعمائها وقادتها وتمنحهم السلطة المطلقة والبيعة المؤيدة، وبعض قيادتها تتجاوز العشرون عاماً وهي ما تزال في مواقعها القيادية؟، بل كيف تتصلب هذه الجماعات لوسائل اجتهادية وتجمد عندها وكأنها من أصول الإسلام وثوابت الدين، وتمارس معها ما لا يليق بها من التعصب لها والجمود عليها، "فهذه المناهج والوسائل والأنظمة ليست خالدة خلود الإسلام نفسه، وليس لها ثبات المبادئ والأصول الإسلامية، بل هي أدوات أثمرها الاجتهاد البشري لإحياء الإسلام وتجديده للأنفس والحياة".[٧٩]

خلاصة البحث ونتائجه :

لقد تناول هذا البحث آفة سيئة ابتليت بها الجماعات الإسلامية المعاصرة، وانعكست آثارها على الأمة المسلمة، وتمثلت في التعصب الفكري والمنهجي والحزبي، والتي أورثت أزمة فكرية في أوساط الجماعات الإسلامية والعمل الدعوي. و بمقتضى ما تقدم ؛ فقد توصل الباحث إلى النتائج الآتية :

- التعصب الفكري والحزبي ظاهرة فكرية متفشية في أوساط الجماعات الإسلامية، وعلى الجماعات الإسلامية الاعتراف بوجود هذه الظاهرة أولاً، ثم التعامل معها ومعالجتها والقضاء عليها.
- إن مستقبل الأمة الإسلامية يواجه صعوبات وعراقيل حقيقية نتيجة لانتشار روح التعصب الفكري في المجتمع نفسه، وفي داخل الجماعات الإسلامية، والتي يعول عليها بناء مستقبل الأمة الإسلامية، وإعادة مجدها المشرق.
- تقديس القادة والشخصيات وإضفاء صفة العصمة والقداسة على أفكارهم وأعمالهم سبب رئيس في صناعة الوثنية الفكرية المعاصرة، وبالتالي ضعف الجماعات الإسلامية.
- بسبب التعصب والتحزب، فإن العمل الجماعي المنظم تحول في كثير من صوره وأشكاله إلى حزبية مقيتة ماحقة لبركة العمل الدعوي.
- أسهم التعصب الحزبي في تأجيج روح العداء والصراع بين الجماعات الإسلامية، وسعي كل جماعة إلى احتكار المشروعية الإسلامية لنفسها ونفيها عن الآخرين.
- إن لم تتخلص الجماعات الإسلامية من آفة التعصب بشتى صوره والتحزب المقيت، فإن جهودها الدعوية لن تثمر ولن تنجح في معالجة اختلالات المجتمعات المسلمة، وخدمة الدعوة الإسلامية، وتنزيل الإسلام بقيمه وآدابه عملياً في حياة الناس.

الهوامش :

(١) أسس ومناهج البحث، محمد موسى عثمان ص ١٨، البحث العلمي حقيقته، ومصادره، عبد العزيز الربيعة ١/١٧٨، ١٧٩.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل ج١/ص٣٧.

(٣) محمد العبدة، طارق عبد الحكيم: مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين، ص٨٣.

(٤) الشوكاني: أدب الطلب، ص٧.

(٥) محمد الغزالي: كيف نتعامل مع القرآن، ص١٠٧.

(٦) الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٧٧.

(٧) خالص جلبي: في النقد الذاتي، ص٢٤٦.

(٨) الشوكاني: أدب الطلب، ص٣٩.

(٩) الشوكاني: أدب الطلب، ص٨٨.

(١٠) مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص٦٧.

(١١) الشاطبي: الاعتصام، ج١/ص١٦٥.

(١٢) د. عبد الكريم زيدان: الخلاف في الشريعة الإسلامية، ص١٧.

(١٣) الشاطبي: الاعتصام، ج١/١٥٧.

(١٤) الشاطبي: الاعتصام، ج١/١٦٠.

(١٥) محمد الغزالي: دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، ص١١٦.

(١٦) عماد عبد السلام رؤوف: التعصب، بواعثه، وآثاره في التاريخ العربي، ضمن كتاب قضايا إشكالية في الفكر العربي المعاصر، ص١٥٥.

(١٧) محمد موسى العامري: الشيخ مقبل دراسة نقدية، ص٢٢٠.

(١٨) جمال بشير جادي: وجوب لزوم الجماعة، ص٢٢٧.

(١٩) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم، ج١/٧٤,٧٣.

(٢٠) عبد الرحمن اللويحق: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، ص٢٢٠.

(٢١) أحمد الصويان: منهج أهل السنة والجماعة، ص٤٩.

(٢٢) الشاطبي: الاعتصام، ج١/ص٢٧٥.

(٢٣) محمد بن علي الشوكاني: أدب الطلب ومنتهى الإرب، ص٤٩.

(٢٤) فريد الأنصاري: التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، ج٢/ ص١٥٨.

(٢٥) محمد الصالح عزيز: كيف يتحول الاختلاف إلى خلاف، مجلة الأمة القطرية، العدد (٤٦) السنة الرابعة شوال، ١٤٠٤هـ - تموز (يوليو) ١٩٨٤م ص٢١.

(٢٦) عمر عبيد حسنة، نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، ص٢١.

(٢٧) فريد الأنصاري: التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، ج١/ ص١٤.

(٢٨) مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص٨٢.

(٢٩) عمر عبيد حسنة: مراجعات في الفكرة والدعوة والحركة، ص٧٣.

(٣٠) د. ماجد عرسان الكيلاني، مقومات الشخصية المسلمة،ص٣٢,٣٣.

(٣١) جودت سعيد: حتى يغيروا ما بأنفسهم، ص٢٠٣.

(٣٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج ٢٠، ص ٢١١.

(٣٣) عمر عبيد حسنة: نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، ص٢١.

(٣٤) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٣٥)طه جابر العلواني: إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، ص٩٣.

(٣٦) جمال سلطان: فقه الخلاف مدخل إلى وحدة العمل الإسلامي، ص٧٤.

(٣٧) عماد عبد السلام رؤوف: التعصب بواعثه وآثاره في التاريخ العربي، ضمن كتاب قضايا إشكالية في الفكر العربي المعاصر، ص١٦٠.

(٣٨) د. يوسف القرضاوي: الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ، ص١٣٢.

(٣٩) خالص جلبي: في النقد الذاتي، ص٢٤٢,٢٤٣.

(٤٠) فتحي يكن: احذروا الإيدز الحركي، ص٢٨.

(٤١) علي حرب: أوهام النخبة ونقد المثقف، ص٩٣.

(٤٢) عمر عبيد حسنة: مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، ص١١٢.

(٤٣) د. علي حرب: أوهام النخبة أو نقد المثقف، ص٤١.

(٤٤) جمال سلطان: فقه الخلاف، ص٦٠.

(٤٥) محمد بن موسى العامري: الشيخ مقبل الوادعي، آراءه العلمية ومواقفه الدعوية، دراسة نقدية، ص١٩٧.

(٤٦) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج٢/١٦٣.

(٤٧) عمر عبيد حسنة: نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، ص١٢٢.

(٤٨) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج١١/ ص٩٢-٩٣.

(٤٩) د. صلاح الصاوي: جماعة المسلمين، ص٧٣.

(٥٠) محمد العبدة: خواطر في الدعوة، ص١٢٥.

(٥١) عبد الرحمن بن معلا اللويحق: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، رسالة ماجستير، ص٢٢٠.

(٥٢) عمر عبيد حسنة: مقدمة كتاب الأمة في فقه التدين فهما وتنزيلا، د. عبد المجيد النجار، ج١/ ص٢٠.

(٥٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، حديث رقم ١٧٣١، ٣/ ١٣٥٦، والترمذي في السير، باب ماجاء في وصيته صلى الله عليه وسلم في القتال، برقم ١٦١٧،وابن ماجه في كتاب الجهاد، باب وصية الإمام، برقم ٢٨٥٨.

(٥٤) د. طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، ص٩٣

(٥٥) د. علي حرب، أوهام النخبة، ص٤٢.

(٥٦) جمال سلطان، فقه الخلاف: مدخل إلى وحدة العمل الإسلامي، ص٦٨.

(٥٧) عمر عبيد حسنه، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، ص ١١٤.

(٥٨) د. طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، ص ٩٣.

(٥٩)موسى إبراهيم الإبراهيم، الفقه الحركي في العمل الإسلامي المعاصر، رسالة ماجستير، ص ٤٨٠.

(٦٠) د. يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص٨٩.

(٦١) راشد الغنوشي، الشورى مبدأ في إدارة الدعوة، مجلة المجتمع، العدد (٩٣٠) الثلاثاء ٢٨محرم ١٤١٠هـ-٢٩ أغسطس ١٩٨٩م، ص٢٦.

(٦٢) د. صالح حسن سميع، أزمة الحرية السياسية في الوطن العربي، ص٥١٣.

(٦٣) د. عبد المجيد النجار، دور حرية الرأي والرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، ص ٣٩.

(٦٤) د. طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، ص ٩٤.

(٦٥)جون استيوارت مل:أسس اللبرالية السياسية، ص١٣٧،نقلاً عن:أ.دإمام عبدالفتاح إمام،الطاغية، ص١١.

(٦٦) عمر عبيد حسنه، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة،ص ١١٦.

(٦٥) المصدر السابق، ص ١٢.

(٦٨) د. يوسف القرضاوي، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة المقبلة، ص ١٠٤.

(٦٩)عمر عبيد حسنة،فقه الدعوة ملامح وآفاق،ج١،في حوار مع د.أحمد العسال، بعنوان مقومات التغيير، ص٤٣.

(٧٠) عمر عبيد حسنة، نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، ص ٣٥.

(٧١) عمر عبيد حسنة، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، ص١١٧.

(٧٢) د. يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، ص ١٢٢.

(٧٣)هشام الطالب، دليل التنمية البشرية، ص ٣٣.

(٧٤)المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٧٥)هشام الطالب،دليل التنمية البشرية، ص٣١.

(٧٦)عمر عبيد حسنة، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، ص ١١٧.

(٧٧)عمر عبيد حسنة، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، ص ١١٩.

(٧٨)د. يوسف القرضاوي، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، ص ٠٥ .

(٧٩) د. يوسف القرضاوي، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، ص ١٠٣.

المراجع:

١- إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ):**الاعْتِصَام**، تحقيق ودراسة: الجزء الأول: د.محمد بن عبدالرحمن الشقير، الجزء الثاني: د. سعد بن عبدالله آل حميد، الجزء الثالث: د. هشام بن إسماعيل الصيني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

٢- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ): **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، بتحقيق من حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، بدون رقم ط و ت.

٣- ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي وابنه محمد، دار الرحمة للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون رقم طبعة وتاريخ نشر.

٤- أحمد عبدالرحمن الصويان: **منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم**، دار الوطن للنشر، الرياض، طبع في مطبعة سفير- الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٥- جمال سلطان: **فقه الخلاف، مدخل إلى وحدة العمل الإسلامي**، مركز الدراسات الإسلامية، برمنجهام – بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.

٦- جودت سعيد:**حتى يغيروا ما بأنفسهم**، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، الطبعة السادسة،١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٧- خالص جلبي: **في النقد الذاتي "ضرورة النقد الذاتي للحركة الإسلامية"**، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٠٥ هـ-١٩٨٤م.

٨- راشد الغنوشي: **الشورى مبدأ في إدارة الدعوة**، مجلة المجتمع الكويتية ، العدد (٩٣٠) الثلاثاء ٢٨محرم ١٤١٠هـ-٢٩ أغسطس ١٩٨٩م.

٩- الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر (٥٤٨هـ): **الملل والنحل**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، بدون رقم طبعة وتاريخ نشر.

١٠- صالح حسن سميع: **أزمة الحرية السياسية في الوطن العربي**، رسالة دكتوراه في القانون الدستوري، جامعة القاهرة، عام ١٩٨٥م، نشر الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

١١- صلاح الصاوي: **جماعة المسلمين مفهومها وكيفية لزومها في واقعنا المعاصر**، دار الصفوة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١٢- طه جابر العلواني: **إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات**"ورقة عمل"، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا- أمريكا، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، سلسلة إسلامية المعرفة "٩".

١٣- عبد الرحمن بن معلا اللويحق: **الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة**، رسالة ماجستير في الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، عام١٤١٢هـ-١٩٩١م، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

١٤- عبد الكريم زيدان: **الخلاف في الشريعة الإسلامية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ-

١٩٨٨م، الكتاب رقم "٦" ضمن سلسلة مجموعة بحوث فقهية.

١٥- عبد المجيد النجار: **دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين**، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا- أمريكا، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، سلسلة أبحاث علمية "٦" .

١٦- علي حرب: **أوهام النخبة ونقد المثقف**،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء—بيروت،الطبعة الأولى،١٩٩٦م.

١٧- عماد عبد السلام رؤوف: **التعصب بواعثه وآثاره في التاريخ العربي**، ضمن كتاب قضايا إشكالية في الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

١٨- عمر عبيد حسنة: **نظرات في مسيرة العمل الإسلامي**، صادر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر، مؤسسة الرسالة – بيروت، رجب ١٤٠٥ هـ – إبريل ١٩٨٥م، سلسلة كتاب الأمة رقم "٨".

١٩- فتحي يكن: **احذروا الإيدز الحركي؟ ظاهرة تمزق البنى التنظيمية وكيف نصون بنيتنا؟**، المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٠- فريد الأنصاري: **التوحيد والوساطة في التربية الدعوية**، صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر، الطبعة الأولى، جمادي الأولى ١٤١٦هـ سبتمبر – أكتوبر ١٩٩٥م، الكتاب رقم"٤٨" من سلسلة كتاب الأمة.

٢١- ماجد عرسان الكيلاني: **مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح**، صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر، الطبعة الأولى، شوال ١٤١١هـ، سلسلة كتاب الأمة رقم "٢٩" .

٢٢- مالك بن نبي: **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، دار الفكر العربي بيروت- لبنان، ودار الفكر – دمشق، طبعة(١٩٨٨م).

٢٣- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (٤٥٠هـ): **أدب الدنيا والدين**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الخامسة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، سلسلة تراث الإسلام "٢".

٢٤- محمد الصالح عزيز: **كيف يتحول الاختلاف إلى خلاف**، مجلة الأمة القطرية، العدد (٤٦) السنة الرابعة شوال، ١٤٠٤هـ - تموز (يوليو) ١٩٨٤م.

٢٥- محمد العبدة وطارق عبد الحكيم: **مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم**، دار الأرقم للنشر والتوزيع، الكويت، بدون رقم طبعة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

٢٦- محمد العبدة: **خواطر في الدعوة**، صادر عن المنتدى الإسلامي، لندن- بريطانيا، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ضمن سلسلة كتاب "المنتدى".

٢٧- محمد الغزالي: **دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين**، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة- مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢٨- محمد الغزالي: **كيف تتعامل مع القرآن**، في مدارسة أجراها معه الأستاذ/ عمر عبيد حسنه، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،فرجينيا- أمريكا،الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي.

٢٩- محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني (المتوفى:١٢٥٠هـ): **أدب الطلب ومنتهى الأرب** ، المحقق: عبدالله يحيى السريحي، دار ابن حزم- لبنان/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٣٠- محمد بن موسى العامري: **الشيخ مقبل الوادعي آراءه العلمية ومواقفه الدعوية**، دراسة نقدية، صنعاء، بدون دار نشر، بدون رقم طبعة، ١٤١٦هـ.

٣١- موسى إبراهيم الإبراهيم: **الفقه الحركي في العمل الإسلامي المعاصر**، رسالة ماجستير غير منشورة.

٣٢- هشام الطالب: **دليل التنمية البشرية، من** إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي،فرجينيا- أمريكا.

٣٣- يوسف القرضاوي: **الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم**، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.

٣٤- يوسف القرضاوي:**أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة المقبلة**،الدوحة،رمضان١٤١٠هـ-إبريل ١٩٩٠م، دون رقم طبعة.